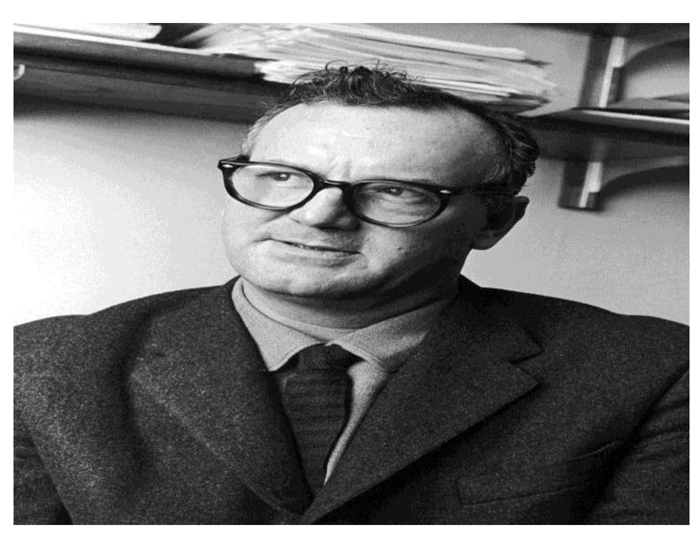
نحو علم اجتماع تنويري

دراسة بالنظرية النقدية

النظرية النقدية عند رايت ميلز

رؤية راديكالية ملتزمة



للدكتور

حسام الدين فياض

مدرس النظرية الاجتماعية المعاصرة

دراسة (١)

٢٠١١

لا أحد يمتلك الحقيقة إلا الله

اسم الدراسة: { النظرية النقدية عند رايت ميلز }
– رؤية راديكالية ملتزمة –

التأليف: د. حسام الدين فياض – مدرس النظرية الاجتماعية المعاصرة

الناشر: صفحة نحو علم اجتماع تنويري
الطبعة: الأولى
تاريخ : ٢٠١١

https://www.facebook.com/profile.php?id=100013362274564

إهداء

إلى شهداء الحقيقة

إلى شهداء الكلمة

إلى شهداء القلم...

تمهيد:

يعتبر رايت ميلز الأب الروحي للاتجاه الراديكالي في علم الاجتماع المعاصر، فقد استوعب التراث الفلسفي **الأوروبي-الأمريكي** خصوصاً الفلسفة البراجماتية (النفعية) التي كانت تعتبر أحد أهم التيارات الفلسفية الهامة في الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت[١]. نُظر إلى ميلز باعتباره واحداً من أهم مؤسسي النزعة الراديكالية في علم الاجتماع الحديث، ليس بسبب أفكاره الناقدة للتراث السوسيولوجي المحافظ والتقليدي فقط، بل بسبب تبنيه لوجهة نظر راديكالية ملتزمة[٢].

ظهر ميلز في إطار شامل من الحركات اليسارية الجديدة التي ظهرت في بلدان عديدة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية، حيث انتشرت موجة عارمة من النقد الاجتماعي، تمثلت بحركات الشباب والطلبة ١٩٦٨، التي عمّت أرجاء العالم الغربي بأكمله[٣]. لذا يمكن اعتباره رمزاً لمعارضة راديكالية لكل الممارسات السوسيولوجية التي ظهرت خلال فترة الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين المنصرم، وبهذا أصبح ميلز جزءاً من تاريخ الفكر الاجتماعي الغربي، لأنه شكل نقطة انقطاع هامة في مسار الفكر الاجتماعي الذي ظل أسيراً لنزعة محافظة اعتذارية تسعى للدفاع عن الأوضاع القائمة ومعارضة أية تغيرات بنائية شاملة[٤].

كان محور اهتمامه ميلز هو استخدام السلطة وإساءة استخدامها بصفة خاصة. فقد كان يرى أن الولايات المتحدة تحكمها نخبة صاحبة قوة وسلطة، يهتم قادة النقابات العمالية فيها بجمع الثروة[٥]. له العديد من المؤلفات في نقد المجتمع والسياسة وبناء القوة في أمريكا منها:

- الشخصية والبناء ا لاجتماعي و ذو الياقات البيضاء ١٩٥٣، صفوة القوة ١٩٥٦.
- أسباب الحرب العالمية الثالثة ١٩٥٨ .
- الخيال السوسيولوجي الواعد ١٩٥٩.

- استمع أيها الأمريكي: الثورة في كوبا١٩٦٠، السلطة والسياسة والشعب ١٩٦٣
- علم الاجتماع والبراجماتية ١٩٦٤ .

انطلق ميلز من معظم كتاباته من وجهة نظر نقدية ملتزمة حاول فيها التأثير على التيارات الاجتماعية السائدة في أمريكا والعالم على حد السواء، لذا يمكن اعتبار ميلز رمزاً لمعارضة راديكالية لكل الممارسات السوسيولوجية التي ظهرت في الستينيات من المنصرم، ربط ميلز بين نقد المجتمع الأمريكي ونقد علم الاجتماع فيه، و وضح قضية اغتراب الإنسان الأمريكي وتزييف وعيه، وبالتالي طبعه باللامبالاة والقصور فيما يتعلق بالتغيير، وحاول ربط هذا الواقع بعوامل أخرى حاولت الإيحاء للإنسان بأن مشكلته ليست مشكلة اجتماعية بنائية وإنما نفسية شخصية. فكثيراً ما أكد الباحثون من خلال دراساتهم له أن المسألة تعود إلى تكيف الإنسان وتوافقه مع الواقع المحيط، فكلما كانت لديه قدرات نفسية على هذا التكيف وذلك التوافق قل اغترابه والعكس صحيح، ولكي يثبت عجز وزيف مثل هذه التأويلات " لا التفسيرات " أنجز عدة دراسات حول الطبقات الاجتماعية أبرزها دراساته حول " الطبقة المتوسطة " و " صفوة القوة " ليخلص منها إلى أن حقيقة أي طبقة هي في الواقع وإلى حد كبير محصلة لعلاقاتها بسائر الطبقات الاجتماعية، بالإضافة دور مراكز القوة الاقتصادية في المجتمع الأمريكي التي أصبحت تسيطر على السياسة الحكومية(٦) .

هذا ما دفع ميلز إلى ضرورة مطالبة تسلح الباحث الاجتماعي بما أسماه " **الخيال السوسيولوجي**" بهدف تصحيح مسارات علم الاجتماع، لأن مفهوم الخيال السوسيولوجي الذي قدمه ميلز يعتبر من أهم الانجازات النظرية على الصعيد السوسيولوجي، لأنه قدم نقداً شاملاً للمسلمات النظرية والمنهجية الشائعة في علم الاجتماع خلال خمسينيات القرن العشرين المنصرم، فقد ظهر هذا الأمر جلياً في كتابه " الخيال

السوسيولوجي" الذي شن من خلاله هجوماً ضارياً على ما أطلق عليه " النظريات الكبرى (الوظيفية والماركسية) و الامبيريقية المجردة "[٧].

أما عن مصطلح " **الخيال السوسيولوجي**" فقد عرفه بأنه إطار تصويري وأداة تحليلية من أجل إدراك البناء الاجتماعي باعتباره حقيقة تاريخية قائمة بذاتها يمكن تجزئها إلى مجموعة من الأنساق الفرعية وتدرس في علاقتها بالبناء الكلي، فالباحث السوسيولوجي هو جزء من المجتمع الذي يدرسه وحياته لا تنفصل عن موضوع بحثه ومن هذا المنطلق فهو يحتاج إلى الخيال السوسيولوجي لكي يتفهم حياته من خلال الظروف الاجتماعية المحيطة به، بل وأكثر من ذلك فيجب على كل إنسان أن يتحلى ويتصف بهذه الأداة من أجل تخطي عقبة الوعي الزائف التي قد يقع فيها في مختلف مراحل حياته الاجتماعية. وفي المقابل أكد ميلز على أهمية دراسة التفاعل بين الإنسان والمجتمع بين التاريخ الشخصي والتاريخ العام وبين الذات والعالم الذي تعيش فيه هذه الذات وذلك على مستوى الفرد ومستوى البناء الاجتماعي الكلي.

وتتبع أهمية الخيال السوسيولوجي عند " رايت ميلز " على اعتبار أن التصور السوسيولوجي الفعال أصبح من أهم الوسائل التي يلجأ إليها العلماء، وهنا أكد ميلز على الدور الهام الذي يؤديه الخيال السوسيولوجي في الوصول إلى الحقيقة الاجتماعية، فالخيال هو القدرة على فهم الإنسان داخل المجتمع، وهو يساعد الباحث على تفهم الواقع الحقيقي الذي يدرسه ويمكننا من الإلمام بالتاريخ وصيرورة الحياة ومدى العلاقة التي تربطهما من أجل تفسير الواقع الاجتماعي الملموس، إذا فهو ليس حكراً فقط على الباحث بل هو سلاح يستعين به عامة الناس ليتمكنوا من إدراك شخصيتهم باعتبارهم جزءاً في طبقة اجتماعية فهذا الشعور بالانتماء هو الذي يسمح للفرد بأن يصبح قوة اجتماعية مؤثرة في عملية اتخاذ القرار من أجل تحقيق

التغيير، ومن هنا تحول الخيال من أداة تحليلية إلى وسيلة يستخدمها العقل في اتخاذ القرار الصائب فيما يتعلق بحياة الإنسان وهو وسيلة للتثقيف الذاتي مما سمح للفرد بتكوين وعيه الحقيقي(٨).

وفي هذه الدراسة سنقوم بدراسة وتحليل العناصر التالية، في محاولة لفهم كل المتغيرات والأحداث، التي ساهمت بشكل مباشر وغير مباشر في إنضاج النظرية النقدية لدى رايت ميلز التي تعتبر من أهم ما قدم في علم الاجتماع المعاصر(**كرؤية نقدية راديكالية ملتزمة**) على صعيد التيار الراديكالي الاجتماعي في منتصف القرن العشرين من جهة أولى، والتعرف على الأسس النظرية والمنهجية التي اعتمدها ميلز في نقده وتحليله للبناء الاجتماعي من جهة ثانية، وهي كما يلي:

١) التعرف على التيارات الفكرية التي اتخذ منها ميلز مرجعاً أولياً للتنظير النقدي بهدف تكوين رؤيته النقدية التي سعى من خلالها إلى دراسة وتحليل ونقد المجتمع .
٢) تبيان وتحديد ملامح المدخل المنهجي عند رايت ميلز من خلال طرح السؤال التالي: كيف نظر ميلز إلى المجتمع وما هي الآلية التي اعتمدها في دراسته ونقده للمجتمع؟
٣) التعرف على الحياة الشخصية لرايت ميلز التي يمكن اعتبارها أحد أهم العوامل الغير مباشرة في تأثيرها على توجيه آراءه وأفكاره النظرية التي سعى من خلالها إلى دراسة وتحليل ونقد المجتمع .
٤) تحديد الأحداث الاجتماعية والسياسية التي عاصرها ميلز خلال فترة انجازه لنظريته النقدية للمجتمع، لتوضيح كيفية أثرت أحداث الواقع الاجتماعي وتفاعلاته على تبنيه لبعض الآراء والأفكار النقدية .
٥) دراسة وتحديد مجمل المقولات والقضايا النظرية التي يتكون منها البناء النظري النقدي (الراديكالي) عند رايت

ميلز، الذي اتخذ منه مرجعاً أولياً لدراسة وتحليل ونقد البناء الاجتماعي، بغية إيجاد الحلول المناسبة للمشكلات الاجتماعية التي تواجه الفرد والمجتمع.

أولاً- التيارات الفكرية كمرجعية أولية للتنظير النقدي عند رايت ميلز:

اعتمد رايت ميلز في تكوين أرضيته المعرفية على بعض الروافد الفكرية الهامة جداً ضمن إطار النسق الفكري العام الذي عاصره في ذلك الوقت، ناهيك عن مدى تأثره بعوامل الواقع الاجتماعي المحيطة به آن ذاك، حيث ساهمت تلك الروافد والعوامل في بناء تكوينه العقلي والنفسي إلى حد كبير، فانعكس تأثيرها على تبنيه لمعظم آراءه وأفكاره النظرية والأكاديمية، فمن الملاحظ أن هذه الروافد التي اعتمد عليها ميلز تختلف بشكل كبير عن الروافد التي تأثر بها الرواد الكلاسيكيون في علم الاجتماع، وبذلك يمكن حصر تلك الروافد والعوامل بخمس نقاط أساسية وهي كالآتي:

١- **التراث المعرفي للفلسفة البراغماتية:** الذي اهتم به من خلال إعداده لرسالة الدكتوراه التي كانت بعنوان " **علم الاجتماع والبراغماتية** "*، ويمكن القول بأن ميلز قد تأثر بالفلسفة البراغماتية لا يعني هذا أنه قد أتخذ منها مدخلاً للعلم، وإنما يعني أنه قد استوعب التراث الفلسفي الأمريكي، الذي انعكس في جانبين أساسيين:

أ - رفضه القاطع للنزعة الامبيريقية الإحصائية التي كانت سائدة بين زملائه.

ب- إدراكه لتعقد العلاقة بين الفاعل الفردي والبناء الاجتماعي[٩]. لذا يمكن القول " إن تلك الفلسفة كانت بالنسبة له أسلوب حياة، وخطة عمل كما كانت تصور العصر العلمي الذي يحيا فيه، والحياة العلمية التي يعيشها مواطنوه... فهي فلسفة تعبر عن مزاج العالم الجديد المعروف بأمريكا، وهي ثمرة

التفاعل بين الأفكار التي يحملها المفكرون الأوروبيون إلى الولايات المتحدة، وبين البيئة التي نشأوا فيها "[١٠]. هذا فضلاً عن أن استيعابه للتراث البراغماتي جعله قادراً على تمثل الفكر الأوروبي في التاريخ والعلوم الاجتماعية على حد السواء .

٢- الدراسات الامبيريقية (الميدانية): التي أُجريت عن الحراك الاجتماعي والاتصال الجماهيري. فقد قام ميلز بدراسات عن النقابة التجارية، وصفوة رجال الأعمال، إلى جانب دراسات عن جماعات مختلفة تنتمي إلى الطبقة الوسطى. بالإضافة إلى ذلك أجرى عن تأثير وسائل الاتصال الجماهيري وقادة الرأي.

وقد أجرى ميلز كل هذه الدراسات، وهو في كولومبيا حيث كان يعمل مع لازارسفيلد منذ عام ١٩٤٥. ولا نستطيع أن ننكر تأثير لازارسفيلد عليه في كل هذه الدراسات وإن كان تاريخ ميلز العلمي السابق على كولومبيا، ودراساته المكثفة فيما بعد تكشف عن أن كل هذه الدراسات والتقارير هي التي مهدت الطريق إلى دراسة ميلز المكثفة والمطولة عن " **صفوة القوة** "*، ودراسته الأخرى عن " **ذوي الياقات البيضاء** "* فقبل أن يذهب إلى كولومبيا قام بكتابة تقارير مكثفة عن دراسات **لويد وارنر** عن " **اليانكي ستي** "، كما كتب تقارير عن كتاب بيرنهام " **الثورة الإدارية** " وغيرها. ويدل ذلك على اهتمام مبكر في حياته بالبناء الاجتماعي الأمريكي وخبرة بطريقة واقعية أثرت تأثيراً كبيراً على إخراج دراساته فيما بعد، وعلى قدرته على أن يكتشف القوة القادرة على تغيير المجتمع أو تثبيته[١١].

٣- الاتجاهات النقدية لبعض علماء الاجتماع الألمان الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة الأمريكية أبان الحكم النازي:

قبل أن يبدأ رايت ميلز إجراء كل هذه الدراسات قابل بعض العلماء الألمان الفارين من بطش الحكم النازي[١٢]، فقد كان هؤلاء العلماء من ذوي الاتجاهات الراديكالية النقدية موجهة أساساً لتغيير نشأة النازية. حيث كانوا يعتقدون أن علم الاجتماع قادر على القيام بهذه المهمة فهو مزيج من أعمال عدة رواد في

علم الاجتماع وهم (**ماكس فيبر***، **كارل ماركس**، **سيغموند فرويد**)، مع العلم أن ميلز قد ألم بالتراث الفكري لهؤلاء الرواد على يد " هانز جيرث " في جامعة ويسكونسين. فقد أثار هؤلاء اللاجئون في ميلز الاهتمامات الراديكالية خاصة وأنهم وجهوا جانباً من رؤيتهم الراديكالية إلى المجتمع الأمريكي.

فقد نظروا إلى المجتمع الأمريكي الجماهيري على أنه يتحول نحو الشمولية والفاشية، حيث تخوفوا من ازدياد تأثير البنتاغون كمؤسسة عسكرية أمريكية، من أن يزكي النزعة العسكرية ويكرر ما حدث في ألمانيا. فالمنفي الذي فرض على هؤلاء العلماء لم يجعل الارتباط بالظواهر الاجتماعية المستجدة والخاصة بالمجتمع الأمريكي كنموذج غير مختلف جوهرياً عن المجتمعات الرأسمالية الأوروبية وأنظمتها الليبرالية والفاشية والنازية، ولم يجعله أيضاً متغلباً على الانشداد نحو الرقعة السوسيو- سياسية الأوروبية التي انطلقت منها الأبحاث النظرية الأولى لرواد مدرسة فرانكفورت النقدية. بل أصبح للمنفي مردود مضاف في تقدم النظرية النقدية باتجاه أرضية أكثر اتساعاً في عيناتها المطروحة للمعالجة[١٣].

في هذا الجانب نجد رايت ميلز قد أولى اهتماماً كبيراً للصفوة العسكرية وما تلعبه مع عناصر مركبة من الصفوات الأخرى في السيطرة على المجتمع الأمريكي، هذا ما جعلنا ندرك مدى تأثر ميلز بجماعة المهاجرين هؤلاء، إلى جانب إلى أن آراءه تكشف عن مزيج بين آراء ماركس، وفيبر، وفرويد، خاصة ما جاء منها في كتابه " **الشخصية والبناء الاجتماعي** " الذي اشترك فيه مع هانزجيرث[١٤].

٤- الحرب الباردة والصراع الإيديولوجي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي:

إن مواجهة ميلز ومعايشته للحرب الباردة والنزاع الإيديولوجي بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي

السابق، جعل هذا الوضع معظم المسائل التي عالجها ميلز تمس من قريب أو بعيد مسائل الحرب والسلام.

فقد كان يعتبر أن الحروب من المشكلات التي تتسبب في الكثير من الاضطرابات الشخصية. حيث أصدر ميلز فيما يخص هذا الموضوع كتاباً بعنوان " **أسباب الحرب العالمية الثالثة** "* عام ١٩٥٨، ربط فيه ميلز بين أسباب احتمال قيام حرب عالمية ثالثة وبين تركز القوة في المجتمع الأمريكي بأيدي جماعة صغيرة لا يمارس عليها الشعب أي رقابة. ومن هنا نستطيع أن نجد علاقات وثيقة بين ما جاء في هذا الكتاب وما جاء في كتب ميلز الأخرى التي عالج فيها مسألة تركز القوة في المجتمع الرأسمالي(١٥).

٥- الإطار الأكاديمي السائد الذي نشأ فيه ميلز: لاحظ ميلز أن معظم زملائه جميعهم منصرفون إلى تصميم نسق نظري مجرد، أو إجراء دراسات امبيريقية ضيقة النطاق دون أي اهتمام بالمسائل ذات الطابع العالمي التي تواجههم، أو اهتمام بمشكلات البناء الاجتماعي الذي يعيشون فيه. فمن الطبيعي أن يدفع ذلك " الجبن الأكاديمي " ميلز الذي أثرت فيه كل العوامل السابقة إلى أن يسبح ضد تيار من النظرية المجردة ذات الطابع المحافظ(١٦)، حيث يصف ميلز أصحاب هذا التيار بأنهم لا يستطيعون أن ينزلوا إلى مستوى المشاهدة الواقعية حيث يؤدي غياب الإحساس الأصيل بالمشكلات الحقيقية إلى أن نقرأ اللا واقع وتكون النتيجة مزيداً من التعسف الواضح من ناحية(١٧)، وضد التيار تيار النزعة الامبيريقية المحدودة النطاق التي سعت إلى تحويل علم الاجتماع إلى علم طبيعي يستخدم نفس المعادلات الرياضية الشائعة في الفيزياء من ناحية أخرى(١٨)، وأن يتحدى الفكر الكلاسيكي المرتبط بالنظام العام بغض النظر عما جلبه عليه ذلك من مشكلات شخصية بدءاً من اعتباره مجرد صحفي وحتى إلى اتهامه بأنه منتسب إلى الشيوعية في الخفاء.

وبذلك يمكن لنا أن نقسم هذه التأثيرات إلى نوعين، حيث ساهم كل نوع في تكوين عنصر معين من تفكير رايت ميلز(١٩):

- **النوع الأول:** تأثيرات فكرية التي تنحصر في تأثره بالفلسفة البراغماتية وبفكر ماركس وفرويد، وماكس فيبر، الذي أثار الاهتمام به جماعة المفكرين الفارين من بطش الحكم النازي.

- أما **النوع الثاني**: ينحصر بتأثيرات المجتمعية، أو يمكن القول تأثره بالواقع الاجتماعي نفسه. ويضم هذا النوع من التأثيرات كلاً من:

أ- التأثر بخبرة الواقع الاجتماعي نفسه، من خلال البحوث الامبيريقية المبكرة التي قام بها، وكذلك تأثره بعوامل وأحداث الحرب الباردة .

ب- ظهور وتفاقم التناقضات الفكرية والبنائية في المجتمع الرأسمالي الأمريكي .

لذا نجد أن هذه التأثيرات قد ساهمت بشكلٍ كبير في خلق جانب من ثورة ميلز أو اتجاهه النقدي على مجتمعه، حيث ساهم النوع الأول في أن يثور على النظرية الكلاسيكية نفسها، من خلال نقده لأسلوب العلماء في تناول الموضوعات، وتصورهم لدور العلم في المجتمع. لذا يمكن اعتبارها ثورة فكرية أكاديمية، أو ضرب من ضروب الراديكالية العلمية إذا أردنا تسمية أخرى لها. أما مساهمة النوع الثاني فأنها تنحصر بالثورة على واقع المجتمع وإيضاح ما يعاني منه من أمراض ومشكلات اجتماعية، من خلال السعي إلى تحليل البناء الاجتماعي تحليلاً راديكالياً يكشف عما فيه من صور حديثة للاستغلال والسيطرة والنفوذ. أي أنها ثورة اجتماعية، أو ضرب من ضروب النقد الاجتماعي(٢٠).

وبالمقابل نجد أن **كارل ماركس** يعتبر من أهم المفكرين الذين أثروا تأثيراً بالغاً في أفكار رايت ميلز، ونتيجة هذا التأثير اتهم من جانب العلماء البرجوازيين بأنه ماركسي، والمحقق أن

ميلز لم يكن ماركسياً تقليداً فقد ثار على الماركسية مثلما ثار على الوظيفية، غير أن ثورته هنا لم تكن ثورة رفض وإنما كانت ثورة تطوير وتنقيح، فقبل روحها العامة، ورفض بعض قضاياها، وطور بعضها الآخر في إطار هدفه الأساسي الذي سعى إليه إلا وهو نقد البناء الاجتماعي القائم، وكشف مظاهر التحكم والاستغلال فيه[٢١].

لذا يمكن القول بأن رايت ميلز قد تأثر بروح الماركسية التي شكلت أحد أهم التيارات المرجعية في نظريته النقدية، ولكن وفق ضوابطه وقواعده الخاصة التي ارتكز عليها ميلز في صياغته لنظريته النقدية وخصوصاً فيما يتعلق بنظرته للبناء الاجتماعي الأمريكي .

كما تأثير ميلز بعالم النفس **سيغموند فرويد** حيث استفاد من تراث فريد في بناء الشخصية وهذا واضح في كتابه عن " **الشخصية والبناء الاجتماعي** " الذي اشترك فيه مع هانز جيرث. وفي جانب آخر وجد ميلز التفسيرات الفرويدية نقطة انطلاق ملائمة مع توسيع فكرة فرويد عن التنشئة الاجتماعية لتشمل نظام القرابة ليتضح كيف ينشأ الإنسان على نمط الطريقة النظامية القيادية التي ناقشها ميلز في كتابه " **صفوة القوة** "[٢٢].

وتأثر ميلز أيضاً بكل من العالمين الاجتماعيين: (**ماكس فيبر، فبلن**)، نتيجة اهتمامهما الفائق بمصير الإنسان في المجتمع الصناعي والدور الذي يمكن أن يلعبه العلماء الاجتماعيون في هذا المجال. ولأن ميلز كما هو معروف عنه كان من المنادين بقيم الالتزام الأخلاقي والحرية الأكاديمية والموضوعية كان لابد من أن يتأثر بهم ولو بطريقة غير مباشر[٢٣].

ثانياً- الحياة الشخصية لرايت ميلز:

عالم اجتماع أمريكي راديكالي[٢٤]، يعتبر من أعلام اليسار الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية في خمسينيات القرن العشرين المنصرم، لذا يمكن اعتباره شخصية أكاديمية غير عادية في علم الاجتماع الأمريكي آن ذاك، لأنه يؤمن بأن النخبة

الأكاديمية في المجتمع يقع على عاتقها واجب أخلاقي لقيادة الطريق نحو مجتمع أفضل من خلال تلقنهم للقيم مع الجماهير[٢٥]. تبنى ميلز خلال حياته موقفاً لعل أفضل وصف له أنه جماهيري ليبرالي منه اشتراكي[٢٦].

ولد رايت ميلز في ٢٨ آب/ أغسطس عام ١٩١٦، في (**مدينة واكو**) بولاية تكساس لأبوين من الطبقة المتوسطة[٢٧]، كان والده من ذوي الياقات البيضاء يعمل كوسيط لشركات التأمين و والدته كانت ربة منزل من أصول ايرلندية-الانكليزية[٢٨]، تنقل ميلز مع أسرته إلى عدة أماكن في ولاية تكساس، حيث عاش مع أسرته في عدة مدن بالولاية نفسها مثل مدينة: (واكو، و يتشيتا فولز، فورت وورث، شيرمان، دالاس أوستن وسان أنطونيو)، ويمكن اعتبار أن هذه التنقلات كان لها الأثر السلبي على شخصية ميلز، حيث عاش وهو في مرحلة الطفولة حياة منعزلة نسبياً، مما أدى إلى عدم إقدامه على إقامة علاقات اجتماعية حميمية ومستمرة مع أصدقائه بشكل عام، هذه العزلة استمرت معه حتى إتمامه دراسته في المرحلة الثانوية، ففي هذه الفترة يمكن القول بأنه كان ملازماً للمنزل يقضي معظم أوقاته في قراءة الكتب وسماع الموسيقى[٢٩].

وفي عام ١٩٣٤ تخرج رايت ميلز من المرحلة الثانوية، وبعد عام من تخرجه انتقل إلى جامعة تكساس في أوستن بإرادة قوية لمتابعة دراسته في كلية الفلسفة وعلم الاجتماع، وبعد إتمام دراسته في جامعة تكساس، حصل ميلز في عام١٩٣٩ على شهادتي البكالوريوس والماجستير معاً.

كان ميلز طالباً فذاً، ففي الوقت الذي غادر فيه تكساس كان قد نشر بالفعل مقالات في المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع **AJS** (***American Journal Of Sociology***) ، ومجلة علم الاجتماع الأمريكية (***The American sociological Review***) **ASR**[٣٠]. بعد ذلك حصل ميلز على شهادة الدكتوراه من جامعة ويسكونسين في عام١٩٤٢، بعنوان " **علم**

الاجتماع والبراغماتية " حيث بدأ ميلز حياته الأكاديمية بالتدريس في جامعة ميرلاند، ثم انتقل بعدها إلى جامعة كولومبيا، فأصبح أستاذ كرسي عام ١٩٥٦، بعد تأخر طويل نتيجة التعصب السياسي ضده[٣١].

عرف عن ميلز أنه شخص مولعاً بمفهوم الصراع الذي يمكن اعتباره من أبرز وأهم صفاته الشخصية، فكان في حرب مع كل فرد ومع كل شيء. عاش حياة شخصية مضطربة، من خلال علاقاته الغرامية التي أفضت إلى ثلاث زيجات وطفل من كل زواج. كما كانت حياته المهنية مضطربة أيضاً، لأنه يتخاصم مع كل شخص ومع كل شيء. فقد تحدى عدداً من أساتذته، من خلال انتقاده للرئيس السابق لقسم علم الاجتماع بجامعة ويسكونسين في إحدى مقالاته الأولى انتقاداً يثير الاشمئزاز. وإطلاقه اسم " **المجنون الحقيقي** "على **هوارد بيكر** المنظر اللامع في جامعة ويسكونسين. كما دخل ميلز في نهاية الأمر في صراع مع زميله في التأليف **هانز جيرث** الذي وصف ميلز بعدة صفات منها: " **بأنه داهية، بارع، تافه، راعي بقر** ". لذا نجد أن ميلز الأستاذ قد عاش حياته الأكاديمية في جامعة كولومبيا معزولاً وغريباً بين زملائه[٣٢].

من خلال تتبع رحلته الأكاديمية، نجد أن محور اهتمام ميلز هو استخدام السلطة وإساءة استخدامها بصفة خاصة. فقد كان يرى أن الولايات المتحدة الأمريكية تحكمها نخبة صاحبة قوة وسلطة، مع جماهير الشعب التي لا حول لها ولا قوة ترقد في قاع المجتمع حيث كان كل اهتمام قادته من النقابات العمالية هو فقط التهام شريحة كبيرة من الثروة. وفيما هاتين الجماعتين كانت تقف طبقة متوسطة عاجزة بسبب العمالة البيروقراطية[٣٣]. في كتابه " **صفوة القوة** " عام ١٩٥٦، يدلل ميلز على وجود نخبة متوحدة من السياسيين، ورجال الأعمال، والعسكريين، وليس على وجود توازناً متعدداً للمصالح المتنافسة، فكان هذا التوحد بين هؤلاء النخب هو الذي يقرر

اتجاه السياسة الأمريكية. أما في كتابه " **الياقات البيضاء: الطبقات المتوسطة الأمريكية** "عام١٩٥١، فقد تتبع ميلز مسار وأحوال التدهور الذي لحق بالمزارعين وصغار رجال الأعمال الذين كانوا يشكلون الطبقة المتوسطة القديمة، وكانت لهم قاعدة القوة الخاصة بهم التي يرتكزون عليها. فقد حل محل هؤلاء طبقة متوسطة جديدة من المهنيين، والمديرين، والموظفين، والبائعين الذين يتصفون بالامتثال والعجز نتيجة اعتمادهم على الأجهزة البيروقراطية في وظائفهم. لذا نجد أن ميلز ظل طوال حياته، يؤكد سخطه ونقمته على هذه البنية الوظيفية، حيث أخذ يندد بها باعتبارها تجرد الشعب من استقلاله، وغير ديمقراطية لأنها لا تعترف بحق الشعب في المشاركة في اتخاذ القرارات التي تمس مصالحهم. ومجمل هذه الآراء لرايت ميلز كانت نتيجة منطقية، لأنه يعتنق أساساً القيم الشعبية الراديكالية السائدة في الجنوب الغربي للولايات المتحدة الأمريكية، التي دفعته إلى الهجوم النخبة الحاكمة، والمصالح الكبيرة التي تستغل الشخص الضعيف، ورغم هذا فإنه لم يطرح رؤية واضحة للمجتمع البديل، كما أنه لم يرتبط بأي جماعة سياسية[٣٤].

أما في كتابه " **الخيال السوسيولوجي** " عام ١٩٥٩، الذي يمثل مقدمة رائعة وملخصاً للنزعة الإنسانية الكامنة وراء علم الاجتماع كعلم[٣٥]، فقد شن ميلز من خلاله هجوماً قوياً على السوسيولوجيا الأمريكية لاتهامه لها بأنها مجرد بحث إحصائي في الأمور التافهة من خلال نقده وتحديه لعالم المناهج البارز **بول لازار سفيلد***- الذي صادف أن يكون زميله في جامعة كولومبيا - أو لاعتبارها مجرد بحث في النظرية الكبرى التي تركز جل اهتمامها على الخواص المجردة التي يتسم بها المجتمع الأمريكي، حيث تجنبت التعامل مع المشاكل الاجتماعية الرئيسية في الوقت الحاضر، فقد وجه انتقاداته اللاذعة لها من خلال توجيهه النقد لعالم الاجتماع الأمريكي **تالكوت بارسونز**** صاحب نظرية البنائية الوظيفية[٣٦].

لذا نجد أن هجوم ميلز على معظم أعمال علماء الاجتماع وتركيزه على الصراع الاجتماعي يمثل مبحثاً نقدياً مؤثراً على مسألتي (**الإجماع**) و الرؤية (**الوظيفية**) للمجتمع التي كانت سائدة في الولايات المتحدة الأمريكية آن ذاك خلاله حياته. ويمكن القول أن كتاباته الواضحة الجريئة سعت إلى جذب جمهور واسع، كما كان لمدخله الأخلاقي الملتزم للسوسيولوجيا تأثيره الكبير على اليسار الأمريكي الجديد(٣٧) .

موقف ميلز الرافض وناقد لنهج وسياسة المجتمع الأمريكي، جعله يظهر تحديه له في العديد من الجبهات، أبرزها عندما قام بزيارة للاتحاد السوفيتي السابق، حيث استقبل هناك باعتباره كناقد بارز للمجتمع الأمريكي(٣٨).

في آذار/ مارس عام ١٩٦٢ تعرض ميلز لرابع أزمة قلبية، فوافته المنية عن عمر يناهز ٤٥ سنة في نيويورك، فكان في عجلة من أمره. ففي حفل تأبينه الذي نظمته جامعة كولومبيا بعد وفاته قال عنه أحد زملائه: " لا توجد غربة بيني وبين رايت. لقد بدأنا غرباء عن بعضنا، حيث بدا لي أنني الشخص الوحيد الذي لا يمكنه أن يقول لقد تعودت عليه كصديق، ولكننا صرنا بعيدين عن بعضنا بعض الشيء. وطبعاً كنت أقصد العكس "(٣٩).

ثالثاً- أحداث السياقات (الاكاديمية والاجتماعية والسياسية) وتفاعلاتها:

في هذا العنصر سنقوم بالتعرف على أهم الأحداث التي ساهمت بتوجيه آراء وأفكار ميلز النقدية نحو قضايا سوسيولوجية بعينها، ويمكن تقسيم هذه الأحداث إلى عدة أصعدة منها: الصعيد الأكاديمي والصعيد الاجتماعي والسياسي.

١- على الصعيد الأكاديمي:

سيطر على واقع علم الاجتماع الغربي في بداية القرن العشرين المنصرم بشكل عام، وعلى علم الاجتماع في الولايات

المتحدة الأمريكية بشكلٍ خاص اتجاهين أكاديميين على النقيض من بعضهما، حيث كانا يختلفا في الأسس النظرية والمنهجية البحثية، وأنماط القضايا والمشاكل التي يهتم بها كل اتجاه، ويظهر هذا الاختلاف جلياً من خلال طريقة تناول كل اتجاه للواقع الاجتماعي بالدراسة والتحليل والتفسير.

أ- سيطرة النزعة الامبيريقية التجزيئية: ظلت الامبيريقية لأكثرٍ من نصف قرن الاتجاه السائد في علم الاجتماع الغربي (خاصةً في علم الاجتماع الأمريكي)، فأصبحت بصفتها المبدأ الأساسي في البحث الاجتماعي، باعتبارها المنهج الذي يلبي مطلباً اجتماعياً محدداً أملاه العلم الاجتماعي البرجوازي في القرن العشرين[٤٠].

ادعت النزعة الامبيريقية أنها تبحث في ظواهر اجتماعية محددة أي أنها تسعى إلى إبعاد موضوع علم الاجتماع عن المستويات العليا من التجريد والابتعاد عن المجتمع الكلي واختيار الأوساط المجتمعية المحلية أي دراسة قطاع واحد من قطاعات الحياة المجتمعية[٤١]. فكانت نشأتها كرد فعل على الاتجاهات التأملية في علم الاجتماع التقليدي، حيث رفضت هذه النزعة استناد الباحث الاجتماعي إلى أية معرفة نظرية مجردة مسبقة عن المجتمع، وطالبته بالتحرر من جميع مواقفه السياسية والإيديولوجية ومرتكزا ته الفلسفية. وعدت الظواهر الاجتماعية **" مادة خام "** يجب دراستها بعيداً عن أشكال القيم الأخلاقية والسياسية وغيرها[٤٢].

سعت هذه النزعة إلى تحويل معرفة قوانين التطور الاجتماعي في علم الاجتماع إلى مسألة معرفة ظواهر الحياة الاجتماعية، كما أدت إلى تكوين فهم خاص لمشاكل المنهجية في البحث الاجتماعي، حذفت الامبيريقية من حسابها المسائل الحقيقية لعلم الاجتماع، تلك التي تتعلق بالفهم الفلسفي لجوهر العلاقات الاجتماعية للاتجاه العام للتطور التاريخي وقوانين هذا التطور[٤٣]، بمعنى آخر دراسة الوقائع المجتمعية المعاصرة

وتجنب دراسة الوقائع المجتمعية التاريخية[٤٤]، أصبح موضوع البحث الاجتماعي ينحصر في مسائل منهجية البحث التجريبي المشروطة بمهمات تطبيقية بحتة.

لذا نجد أن هذا الاتجاه يتصف بأنه اتجاه تجزيئي من حيث أنه يدرس ظواهر منفصلة دون ربطها بنظرية معينة ودون التعمق في أصولها التاريخية. وهو بذلك يسعي إلى انتزاع الظواهر الاجتماعية من سياقها البنائي والتاريخي. فالاتجاه الامبيريقي المتجزئ "... لا يتصف بأنه صاحب أي كيان من الفروض والنظريات، كما أنه لا يستند إلى أي مفاهيم جديدة عن طبيعة المجتمع أو الإنسان أو إلى أي حقائق معينة عنهما. وقد يكون صحيحاً أنه ذاخر بأنواع المشاكل التي يختارها ممارسه للدراسة بشكل تقليدي، وبالطريقة النمطية التي يقومون بدراسة هذه المشاكل بها، إلا أنه من المؤكد أن هذه الدراسات ليست مدعاة أبداً لتلك الشهرة التي يتمتع بها هذا الأسلوب من البحث الاجتماعي "[٤٥]. ويعد **بول لازار سفيلد** صاحب أهم تأثير يحدثه شخص واحد على المنهج الكمي (الإمبيريقي) في علم الاجتماع في القرن العشرين[٤٦].

ب- النظريات الاجتماعية الكبرى ذات الطابع الشمولي المجرد في الولايات المتحدة الأمريكية:

تعتبر النظرية **الوظيفية والماركسية** على حد السواء من أهم النظريات ذات الطابع الشمولي المجرد، التي تسعى إلى توضيح طبيعة تشكّل الحقيقة الواقعية والقوانين التي تعمل وفقاً لها[٤٧]. عاصر ميلز هذا النمط من النظريات، وكان لديه الكثير من المآخذ على منهجية و رؤية تلك النظريات للمجتمع الذي تسعى إلى تحليله وتفسيره. يتصف هذا النوع من النظريات بعدة خصائص وصفات:

١- تتبنى تلك النظريات المدخل الكلي لفهم الظواهر الاجتماعية، لذا فإن وحدات الدراسة لديها تتسم بأنها ذات

طابع كبير و واسع، أي أن مجال دراستها مجال الماكرو سوسيولوجي.

٢- مواضيع دراستها تكون صعبة الملاحظة، مما يؤدي إلى وجود صعوبة في السيطرة عليها.

٣- تكون مناهجها من النوع الوضعي أو الفلسفي.

٤- تؤكد على الجانب الاجتماعي والحضاري في دراستها للمجتمع[٤٨].

يسمى هذا النوع من النظريات بالنظريات الصورية لأنها تهتم بتغطية حقل كامل من حقول علم الاجتماع وفي بعض الحالات علم الاجتماع بأكمله. ومن أنصار هذا النوع من النظريات (**أوغست كونت، واميل دوركايم، وكارل ماركس وتالكوت بارسونز**).

وفي نفس السياق ذاته، نجد أن بارسونز خير مثال واضح على تبني النظرية الاجتماعية ذات التوجه الشمولي (الكلي)، فقد هيمن بارسونز على النظرية الاجتماعية (البنائية الوظيفية)، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى أواسط الستينيات من القرن العشرين المنصرم. أنتج بارسونز إطاراً نظرياً ضخماً يدعي من حيث المبدأ قدرته على الإحاطة بكل جوانب الحياة الاجتماعية. وقد وضعت أسس هذه النظرية خلال الأزمة الاقتصادية في الثلاثينيات[٤٩]. ويرى ألفن جولدنر في كتابه " **الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي** "، أن نظرية بارسونز قد تطورت في حقيقة الأمر رداً على التحديات الماركسية، حيث غدت الوظيفية البنائية نظرية عامة عن المجتمع لا تبرر الرأسمالية بقدر ما تقدم تفسيراً وفهماً لصعوبات الرأسمالية دون أن تدينها ولقد تحقق ذلك من خلال النظر إلى هذه الصعوبات على اعتبار أنها جزء من عملية تطور تفضي إلى مزيد من الاستقرار والتكامل. ولعل من حسن الطالع لبارسونز أن الرأسمالية قد استجابة بطريقة مناسبة بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أن الفترة التي سيطر فيها على علم

الاجتماع رافقتها فترة من التوسع الاقتصادي والاستقرار النسبي[٥٠].

ويعلل ألفن جولدنر هذا الإقبال على النظرية البارسونزية، أنه في أعقاب الحرب العالمية الثانية ظهر ميل كبير في علم الاجتماع الأمريكي للعودة إلى نزعة نفعية اجتماعية من خلال إسهامات بارسونز الخاصة بالنظرية الوظيفية بصورة عامة. حيث فرضت إسهامات بارسونز الأخيرة، وبخاصة مؤلفه " **النسق الاجتماعي** " الذي نشره في عام ١٩٥١، تأكيداً كبيراً نسبياً على أهمية الإشباع الناتج عن توافق الفرد مع القيم، وعلى إسهام العمليات والأبنية الاجتماعية المتنوعة في تكامل الأنساق الاجتماعية[٥١].

لكن نظرية بارسونز والنظام الرأسمالي أخذا يواجهان صعوبات حقيقية في أواخر عقد الستينيات، وفي غضون عشر سنوات أصبحت نظرية من النظريات القديمة التي يهتم بها التاريخ فقط[٥٢]. وبالمقابل تعرضت نظرية بارسونز إلى نقد شديد اللهجة على يد رايت ميلز الذي وصفها على أنها نظرية مجرد بعيدة كل البعد عن الواقع الاجتماعي، ذات تعقد لغوي ونظري منفصلة تماماً عن مشاكل وقضايا المجتمع تسعى إلى إحقاق التوازن والاستقرار داخل البناء الاجتماعي بالمقام الأول دون حسابات أخرى. وسوف نتعمق أكثر في هذا الجانب من خلال النظرية النقدية لرايت ميلز في الفقرات التالية.

٢- على الصعيد الاجتماعي والسياسي:

شهد الواقع الاجتماعي مجموعة من الأحداث الاجتماعية والسياسية. التي كان لها تأثير بالغ الأهمية على البشرية جمعاء (خاصة السياسية). فعلى **الصعيد الاجتماعي** خاصةً في الولايات المتحدة الأمريكية نجد أن الوضع الطبقي (الطبقة الوسطى) أصبحت تعاني من مشاكل أدت إلى تغير ملامحها وتزيف وعيها نتيجة لسيطرة القوى النخبوية التي كانت تتحكم بقيادة المجتمع الأمريكي. أما على **الصعيد السياسي** فكانت

الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، التي جلبت الدمار والخراب للدول التي كانت تتصارع على تحقيق مصالحها الشخصية الشرهة من خلال استعراض قوتها ذات الطابع الحيواني، حيث لا تأخذ بالحسبان أي اعتبار للجرائم والمصائب التي تكبدتها الإنسانية من جراء تلك الأطماع الشرسة التي لا تعرف الرحمة، كذلك الأمر بالنسبة للحرب الباردة والصراع الإيديولوجي بين الاتحاد السوفيتي السابق والولايات المتحدة الأمريكية، حيث وضعت هذه الحرب العالم أجمع على أبواب حرب عالمية ثالثة بسبب الصراع والتنازع بين الدولتين السابقتين على السيطرة على العالم والهيمنة صناعة القرارات الدولية التي تثبت وجود كل دولة منها على أنها هي التي تمتلك زمام الأمور بالعالم.

أ – طبيعة الواقع الطبقي الاجتماعي في الولايات المتحدة:

حاول رايت ميلز من خلال دراسته " **ذوي الياقات البيضاء** " عام ١٩٥١، أن يرسم صورة سوسيولوجية لأوضاع الطبقة الوسطى الأمريكية في منتصف القرن العشرين المنصرم، وقد أثرت هذه الدراسة فيما بعد تأثيراً بالغاً على النتاج الفكري والمنهجي لرايت ميلز(٥٣). فقد استطاع ميلز من خلالها أن يرصد التغير الذي طرأ على الطبقة الوسطى القديمة والتي كانت تتكون من المنتجين، والتجار، وأصحاب المهن المتخصصة، حيث تحولت إلى ما أسماهم ميلز " **بذوي الياقات البيضاء** "* من الموظفين المهن المتخصصة. كما استطاع أن يكشف عن التغير الذي طرأ على الظروف التي تعيش فيها هذه الطبقة، لأن الايديولوجيا السائدة والتي تركز على الاستقلال والفردية، والاحتكار تفرض على هذه الطبقة ضرباً من ضروب التجهيل، بحيث فقدت الأمن والترابط الذي كان يميز الطبقة الوسطى القديمة(٥٤).

ويفسر رايت ميلز التغير الذي أصاب تلك الطبقة من خلال تتبعها تاريخياً واجتماعياً فيشرح: أنه على الرغم، من أن عالم

الأعمال الصغيرة في القرن التاسع عشر، قد انتهى ولم يعد له وجود في القرن العشرين، إذ أخلى مكانه لرأس المال الكبير والمؤسسات العملاقة، إلا أن الخطابة السياسية الأمريكية لا تزال ترسم صورة للاقتصاد الأمريكي باعتباره لا يزال مكوناً من المشروع الصغير ومعتمد عليه وعلى رجل الأعمال الصغير. وبالطبع يتم الدفاع عن هذه الصورة الزائفة للاقتصاد باسم الليبرالية. صحيح أن الليبرالية كانت هي المعبرة بصدق عن نظرة وخبرات عالم الأعمال الصغير في القرن التاسع عشر، إلا أن هذا العالم لم يعد موجوداً، ولم يعد رجل الأعمال الصغير هو عماد الاقتصاد، بل المشروع الكبير والمؤسسة الضخمة. وبذلك يتم الدفاع عن الرأسمالية الاحتكارية عن طريق ليبرالية المشروع الصغير. فالتوظيف الإيديولوجي لليبرالية كما يتم في أمريكا القرن العشرين يتمثل في استعارة ليبرالية الطبقة الوسطى في القرن التاسع عشر للدفاع عن شرور رأس المال الاحتكاري في القرن العشرين(٥٥).

ويعلق ميلز مفسراً أنه قبل الحرب العالمية الثانية لم تكن نسبة الموظفين ذوي الياقات البيضاء عالية داخل الطبقة الوسطى الجديدة، ولم تكن سلبيات الرأسمالية قد طالتهم بعد نظراً لحصولهم على قدر كبير من التعليم، مما فتح أمامهم مجالات واسعة للتوظف خاصة في المراحل المبكرة من نمو المؤسسات الكبيرة. ففي هذه الفترة المبكرة استمتعت هذه الفئة بأوهام كبيرة حول ذاتها، واعتقدت في أهميتها وضرورتها في المجتمع، وكانت حينها واثقة من النظام. أما بعد ازدياد عددها فقد أصبحت عرضة أكثر لظروف العمل الأجير وسلبياته. فمنذ الكساد الكبير في بداية الثلاثينات عرف الموظفون كل المشكلات التقليدية للمجتمع الرأسمالي، إذ عمل الكساد على انحدار هذه الفئة إلى مستوى البروليتاريا. وقد تأثرت سلباً بالركود والحرب والتضخم(٥٦).

يتصف وضع الطبقة الوسطى الجديدة بالتناقض مقارنة بالطبقة الوسطى القديمة وبعمال المصانع. فالطبقة الوسطى القديمة المكونة على نحو واسع من صغار رجال الأعمال وأصحاب المحلات الصغيرة حاربت رأس المال الكبير والمؤسسات الاحتكارية باسم الملكية الصغيرة، أما الطبقة الوسطى الجديدة فتجد فرصها في العمل وأمانها الوظيفي في نفس هذه المؤسسات الاحتكارية التي تدين لها بالولاء. وقد حارب رجال الأعمال الصغار في الطبقة القديمة الاتحادات والنقابات العمالية، أما موظفو الطبقة الجديدة فعندما يتم تنظيمهم فهم ينتظمون في اتحادات ونقابات مماثلة لمثيلتها العمالية. والطبقة الوسطى سواء كانت قديمة أو جديدة فإن صراعاتها تخدم الرأسمالية الاحتكارية، فرجال الأعمال الصغار في صراعهم مع الاتحادات والنقابات يشكلون رأس الحربة ويخدمون الرأسمالية الاحتكارية، والموظفون في انتمائهم وولائهم للمؤسسات التي توظفهم يشكلون صمام الأمان ضد أي هجوم مباشر على هذه المؤسسات، فكيف تهاجم وهي توظف عمالة ضخمة وتفتح بيوت ناس كثيرة ؟[٥٧].

لذا وصف ميلز الفرد بالطبقة الوسطى الجديدة بأنه لا ينشغل بأي صراع سياسي يتناسب مع ما يعانيه من أوضاع سيئة، وهو يفتقد لأي إحساس بمصالحه الاقتصادية والسياسية ولا يشعر بأي أزمة حادة متعلقة بوضعه الاجتماعي والوظيفي. كما لا يمكن أن نفهم وضعه بمنظور حزبي أو نقابي أو طبقي، فلا هو منتمي إلى اتحاد معين أو حزب ما، ولا يتمتع بالوعي الطبقي والتجانس و وحدة الهدف والرؤية التي تجعله وجماعته يشكلون طبقة. إن ظروفهم الاقتصادية والوظيفية هي بالفعل الشروط الموضوعية لتكوين طبقة، إلا أنها طبقة في ذاتها أي طبقة بالقوة والإمكان فقط وليست طبقة لذاتها أي طبقة متحققة بالفعل[٥٨].

وفي نهاية الأمر نجد أن دراسة ميلز لمعطيات هذا الواقع الطبقي الاجتماعي، جعله يكشف عن تناقضات الحياة الاجتماعية

داخل المجتمع الرأسمالي، وما ينتابه من مظاهر قلق واغتراب ناتجة عن سيطرة وتحكم قوى سياسية واقتصادية وعسكرية به. لذا نجد أن ميلز لم يقصد تشريح الواقع الطبقي في الولايات المتحدة (**الطبقة المهنية الوسطى**) تشريحاً اجتماعياً بقدر ما قصد إبراز الوعي المزيف الذي يعمي الفرد عن إدراك الواقع الذي يعيش فيه، والذي يدفعه في نهاية الأمر إلى قبول وتصديق المعاني الرسمية للواقع الاجتماعي[٥٩] .

ب- الحرب العالمية الثانية: نزاع دولي مدمر بدأ في ٧ تموز/ يوليو ١٩٣٧ في آسيا، وفي ١ أيلول/ سبتمبر ١٩٣٩ في أوروبا، وانتهى في عام ١٩٤٥. حيث أن قوات مسلحة من حوالي سبعين دولة، قد شاركت في معارك جوية وبحرية وأرضية. لذا تعد الحرب العالمية الثانية من الحروب الشمولية، وأكثرها كلفة في تاريخ البشرية لاتساع رقعة الحرب وتعدد مسارح المعارك والجبهات، شارك فيها أكثر من /١٠٠/ مليون جندي، فكانت أطراف النزاع دولاً عديدة والخسائر في الأرواح بالغة، فقد أرهقت الحرب العالمية الثانية زهاء /٧٠ / مليون نفس بشرية بين عسكري ومدني. إلا أن المدنيون في هذه الحرب قد تكبدوا خسائر كبيرة في أرواحهم لم تشهدها أي حرب على مر التاريخ[٦٠].

خلال فترة الحرب المدمرة كانت **الشخصية الفكرية لرايت ميلز** في طورها إلى التبلور وإلى اتخاذ موقف من كل شيء أو أمر يسعى إلى التقليل من شأن الإنسان وإنسانيته سواء على الصعيد الفكري أو الاجتماعي أو السياسي، فالنتائج التي نتجت عن هذه الحرب كان لها التأثير الكبير في تكوين بعض ملامح الاتجاه النقدي الراديكالي لرايت ميلز صاحب النزعة الإنسانية المفرطة.

وفي النهاية نجد أن الحرب العالمية الثانية تعد من أبشع المراحل في تاريخ العالم والبشرية جمعاء، التي لاتزال تعيش بعض مخلفاتها وآثارها المدمرة اللا إنسانية حتى الآن.

ج- **الحرب الباردة**: مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي تواجدت بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي وحلفائهم في الفترة الواقعة ما بين منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات(٦١). وسميت بالحرب الباردة لأن الطرفين لم يصلا بالفعل إلى المواجهة العسكرية أحدهما مع الآخر(٦٢). خلال هذه الفترة، ظهرت الندية بين القوتين العظيمتين خلال التحالفات العسكرية والدعاية الإعلامية وتطوير الأسلحة والتقدم الصناعي وتطوير التكنولوجيا والتسابق الفضائي. حيث اشتبكت القوتين في الإنفاق المادي الكبير على الدفاع العسكري والترسانات النووية وحروب غير مباشرة " **باستخدام وسيط بينهما** "(٦٣).

وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كانتا حليفتا ضد قوات المحور، إلا أن القوتين اختلفتا في كيفية إدارة ما بعد الحرب، وإعادة بناء العالم. خلال السنوات التالية للحرب، انتشرت الحرب الباردة خارج أوروبا إلى كل مكان في العالم. حيث سعت الولايات المتحدة إلى سياسات المحاصرة والاستئصال للشيوعية وحشد الحلفاء خاصة في أوروبا الغربية والشرق الأوسط(٦٤). بمعنى آخر كان سعيها من خلال التركيز على " **الاستراتيجية العليا** "، بهدف تطبيق مذهب الاحتواء الذي يسعى إلى احتواء الخطر الشيوعي عسكرياً، وسياسياً، وفكرياً(٦٥).

فمن الناحية العسكرية اهتمت الولايات المتحدة بأن تقوم في سباق تحديث الأسلحة التي تملكها من ناحية وتطويرها بانتظام حتى تكون لها اليد العليا في أي مواجهة عسكرية مع الاتحاد السوفيتي، بالإضافة إلى بناء حلف الأطلنطي ليكون " **حائط الصد** " ضد أي توسع عسكري سوفيتي محتمل في القارة الأوروبية. ومن الناحية السياسية ركزت الولايات المتحدة على بناء شبكة شاملة من التحالفات السياسية مع دول متعددة في مختلف القارات، حتى تصبح معها في جبهة واحدة ضد الاتحاد

السوفيتي، وفي هذا المجال اعتمدت الولايات المتحدة على حزمة متكاملة من الحوافز العسكرية والاقتصادية، لتشجيع هذه الدول لكي تنضم إلى الحلف الأمريكي الواسع ضد الشيوعية. أما من الناحية الفكرية فقد دخلت الولايات المتحدة في حرب أفكار مع الاتحاد السوفيتي، حيث ابتدعت من الوسائل والأدوات ما يسمح لها بنشر الإيديولوجيا الرأسمالية والليبرالية عبر وسائل شتى للتشويش على الدعاية الشيوعية، ونقد الأسس المعرفية للماركسية، وإبراز سلبيات الممارسة السياسية والاقتصادية في الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الاشتراكية[٦٦].

وبالمقابل قام الاتحاد السوفيتي بدعم الحركات الشيوعية حول العالم خاصةً في أوروبا الشرقية وأمريكا اللاتينية ودول جنوب شرق آسيا، حيث كان هدفه من ذلك إقامة **" حزام أمان "** ضد دول الغربية. مما أثارت قلقها من هذه السياسة، فعبر تشرشل عن هذا القلق بوصفه السياسة السوفيتية **" بالستار الحديدي "**. كما سعى الاتحاد السوفيتي إلى الاهتمام بإبعاد الأحزاب الليبرالية والديموقراطية عن السلطة[٦٧].

صاحبت فترة الحرب الباردة عدة أزمات دولية أثرت بشكل سلبي على السلم العالمي، عندها شعر العالم بأنه على حافة الانجراف إلى الحرب العالمية الثالثة[٦٨]. اقتربت الحرب الباردة من نهايتها في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات. بانهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ تاركاً الولايات المتحدة القوة العظمى الوحيدة في عالم أحادي القطب[٦٩].

لذا نجد أن الأحداث السابقة وبالأخص على الصعيد السياسي (**الحرب العالمية الثانية والحرب البادرة**) كان لها تأثير كبير على النتاج الفكري لرايت ميلز، حيث جعلته ينظر إلى قضيتي (**الحرب والسلام**) نظرة شاملة موضحاً كيف أن إنسان القرن العشرين قد أصبح محاطاً بوعي مزيف خلقته **" الميتافيزيقا العسكرية "** و **" الرعب النووي "** و **" الحرب الباردة "** و **" التأهب الدائم "**. يعبر ميلز عن ذلك قائلاً " نحن نعيش

منعطفاً تاريخياً فباسم الواقعية اختفى الخيال، وتحولت اليوتوبيا إلى إثم أخلاقي، لقد تكون وعي فصامي لدى الناس. لذلك يجب أن نعمل نحن الاجتماعيون على تدعيم تكاملهم مع أنفسهم أولاً قبل طل شيء(٧٠).

رابعاً- ملامح المدخل المنهجي عند رايت ميلز:

سعى رايت ميلز إلى أن يكون المفهوم السوسيولوجي، فكرة ذات مضمون امبيريقي، إلا أنه قد شدد على ألا يكون هذا المضمون أكبر من الفكرة فيردى علم الاجتماع ويسقط في الاتجاه الامبيريقي التجزيئي، وفي المقابل إذا كانت الفكرة أوسع من المضمون (الإمبيريقي التجزيئي) وقع علم الاجتماع في شباك عالم المجردات الذي تتخذ منه النظريات الكبرى مساراً. لذا أصر رايت ميلز في كل أفكاره وكتاباته النظرية إلى ضرورة الأخذ بالمدخل المنهجي الذي يركز على النظرة الشاملة ذات الصبغة الراديكالية الملتزمة، بحيث يكون تركيز ميلز تبعاً لهذا المدخل المنهجي على ثلاثة مستويات أساسية وهي: (**الإنسان، المجتمع، التاريخ**). ويبرر ميلز هذا التركيز حين يؤكد على أن المشكلات الأساسية التي يعاني منها الناس هي نتاج لمشكلات البناء الاجتماعي العام، وهما يرتبطان بمشكلات التاريخ. وفي هذا الصدد يقول ميلز " عندما تصاغ مشكلات العلوم الاجتماعية صوغاً حقيقياً، لابد من أن تتضمن كلاً من المتاعب والقضايا والتاريخ الشخصي للأفراد، وأيضاً التاريخ العام، ومجال العلاقات المعقدة القائمة بينهما، لأن حياة الفرد وتكوين المجتمعات كليهما يجريان في نطاق هذا المجال(٧١).

لذا نجد أن طريقة طرحه للمشاكل التي يعاني منها المجتمع تمثل المدخل المنهجي الحقيقي لفهم القيم والمقولات الأساسية التي يحاول من خلالها تفسير ونقد المجتمع، حيث اعتمد ميلز في مدخله المنهجي لدراسة المجتمع على مقولتي " النظام " و " التغير " أو بتعبير آخر" البناء الاجتماعي " و " التاريخ "، فمن خلال تبنيه لهاتين المقولتين نجد ميلز يثير تساؤلات

وقضايا عديدة تتصل بتصور الإنسان الواقع ككل، والإطار الحقيقي للمصير الإنساني. ويعبر ميلز عن ذلك تعبيراً واضحاً حين يقول: إن ما أهدف إليه هو تحديد واقع الظروف الإنسانية تحديداً موضوعياً، وأن تجد تصوراتنا ومفاهيمنا قبولاً من جانب الجماهير العريضة[٧٢].

اعتبر ميلز بناءاً على مدخله المنهجي، أن الأبنية الاجتماعية تختلف اختلافاً جذرياً في درجة ترابطها ونوعية هذا الترابط، ومع ذلك نجد بعض ضروب التكامل داخل البناء الاجتماعي، كما يتضح ذلك في الأنظمة السياسية والقرابية والعسكرية والاقتصادية، التي لا يمكن أن نفصلها عن التطور التاريخي لهذا البناء. ومن هنا فإن نظرية البناء الاجتماعي لا يمكن أن تنفصل عن نظرية التاريخ. لذا سعى ميلز إلى أن يتبنى علماء الاجتماع مدخله المنهجي لأنه حسب رأيه سيسهل عليهم فهم كل من البناء الاجتماعي والتاريخي بطريقة واحدة[٧٣].

فكان من الطبيعي أن يهتم ميلز بدراسة البناء الاجتماعي وأن يكشف عن العوامل التاريخية التي أثرت وتؤثر فيه، مع الانتقال في الدراسة من مستوى البناء إلى مستوى الشخصية. على اعتبار أن الاتجاه النظري المجرد والاتجاه الامبيريقي قد اشتركا في نقطة ضعف واحدة وهي إهمال دراسة البناء الاجتماعي، فجاءت معظم دراسات ميلز امبيريقية تاريخية تقدم فهماً حقيقياً للبناء الاجتماعي في المجتمع الأمريكي. ولكن هذه الدراسات لم تكن تجرى من فراغ، حيث كان يقودها موقف نظري منهجي يحدد اتجاهه الإيديولوجي ودرجة التزامه بالأهداف التي يجب أن يسعى إليها عالم الاجتماع[٧٤].

* فمن أهم المقولات المنهجية التي ساعدت ميلز على تكوين قضاياه النظرية عن الفكر والمجتمع، مايلي:

- الدعوة إلى رؤية سوسيولوجية تكاملية رافضة لأسلوبي الاتجاه النظري المجرد والاتجاه الإمبيريقي (التجريبي) في دراسة المجتمع كلاً على حدا من خلال منظوره :

سعى رايت ميلز من خلال كتابه " **الخيال السوسيولوجي** "، إلى الكشف عن تيار نقدي يهدف إلى مواجهة ونقد تيار فكري عارم يتمثل في النزعة الوظيفية المحافظة. فمن الملاحظ أن الانتقادات الشاملة التي وجهها ميلز للنظريات الاجتماعية السائدة، قد تمت في إطار تصور أعم قصد به الإدانة الراديكالية لما أطلق عليه " **الانحطاط الثقافي** "(٧٥).

بناءاً على تقدم فقد رفض ميلز ما أسماه بالنظريات الكبرى خاصة نظرية عالم الاجتماع الأمريكي تالكوت بارسونز. حيث شن هجوماً بالغ التعنيف على بارسونز، بسبب التعقد اللغوي والنظري الذي كانت تنطوي عليه نظرية بارسونز الوظيفية. لذا نستطيع أن نحدد رؤية رايت ميلز النقدية (الراديكالية) المتمثلة بالثورة على النظرية الكبرى أو الاتجاه العقلي المجرد من خلال هذين العنصرين الأساسيين، وهما كالآتي:

- **العنصر الأول:** يتمثل في رفض أسلوب صياغة مثل هذه النظريات، حيث كتب ميلز يقول: " أعتقد أن المرء يستطيع أن يترجم كتاب " **النسق الاجتماعي** "، المكون من ٥٥٥ صفحة إلى حوالي ١٥٠صفحة من اللغة السهلة الواضحة. غير أن النتيجة لن تكون بالغة التأثير، لأنها ستتضمن نفس المصطلحات التي قدمت بها المشكلة الرئيسية في الكتاب، بالإضافة إلى الحلول المطروحة لهذه المشكلة "(٧٦). يعبر هذا النص عن رفض ميلز لهذا الأسلوب الغامض الذي صاغ به بارسونز نظريته الكبرى، الذي يرتفع إلى مستوى عالي من التجريد ليبتعد عن معطيات الواقع الاجتماعي. ومع هذا الغموض النظري المجرد البعيد عن الواقع، ومع الالتفاف حول نموذج التوازن والميكانيزمات التي تعمل على تدعيمه عن طريق التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي، تعجز هذه النظرية الكبرى عن أن تفسر التغير الاجتماعي والبناء التاريخي برمته. فالسبب الرئيسي في وجود النظرية الكبرى يكمن في اختيار نمط من

التفكير الذي يتصف بالعمومية، حيث لا يستطيع أصحابه أن ينزلوا إلى مستوى المشاهدة .

لذا نجدهم لا يتخلون أطلاقاً عن تعميماتهم لكي يلمسوا المشكلات في أطرها التاريخية والبنائية[٧٧]. " ويفسر هذا الافتقار للحس القوي بالمشاكل الحقيقية، عدم الواقعية الملحوظة بدرجة كبيرة في كتاباتهم. وتكون النتيجة مزيداً من التعسف الواضح، ومن الاستفاضة اللا نهائية في التصنيفات، التي لا توسيع فهمنا وإدراكنا ولا تجعل تجربتنا أكثر معقولية "[٧٨]. وإذا كان هذا النص يكشف عن نقد لمستوى التجريد النظري في النظريات الكبرى ذلك التجريد الذي يعمي أصحاب هذه النظرية عن الارتباط بالواقع المعاش وما به من مشكلات. وفي جانب آخر يذهب ميلز إلى أن أصحاب النظريات الكبرى " قد شغلوا أنفسهم بدرجة بالغة بمعاني التركيبات اللغوية، حيث لم يكن خيالهم خصباً بالنسبة للدلالات والبراهين، فقط ارتبطوا بمستويات التجريد العليا إلى درجة أن شرح " **الرموز الكلامية** " التي يقدمونها تبدو في أغلب الأحيان مجرد لعبة مجدية من التنميط بأكثر من كونها جهداً لتعريف المشاكل بطريقة نسقية - أي بطريقة واضحة ومرتبة – و دليل نهتدي به في حلها "[٧٩].

بذلك يؤدي كل من الابتعاد عن الواقع والانخراط في تركيبات المفاهيم إلى إهمال الكثير من الخصائص البنائية للمجتمع الإنساني، وهي خصائص تلعب دوراً أساسياً في فهم هذا المجتمع، وهذا هو العنصر الأول في نقد ميلز للنظرية الكبرى المجردة[٨٠].

- أما **العنصر الثاني**: في ثورة رايت ميلز على النظرية الكبرى فينحصر في نقده للارتباط الإيديولوجي لهذه النظريات، لأن هذه النظريات تسعى إلى تبرير شرعية النظام القائم. حيث يتضح ذلك من خلال طريقة تناول علماء النظريات الكبرى للواقع الاجتماعي على أنه بناء متكامل يلعب فيه التوجه المعياري دوراً كبيراً. فعلم الاجتماع كما يراه تالكوت بارسونز يدرس ذلك

الجانب من نظرية الأنساق الاجتماعية الذي يهتم بظواهر التشكيل النظامي، وبالتغيرات في هذه الأنماط والتوافق معها والانحراف عنها، والعمليات الواقعية في ارتباطها بكل هذه الأشياء[٨١].

يتفق ميلز في هذا الجانب مع **دافيد لوكوود** في أن هذه الصياغة تخلص من علماء الاجتماع أي اهتمام " بالسلطة "، بالمؤسسات السياسية والاقتصادية ويضيف إلى ذلك أنها تهتم فقط بعناصر الشرعية الأمر الذي يؤدي إلى نقل كل الأبنية النظامية إلى المستوى الأخلاقي أو الرمزي[٨٢].

حاول ميلز أن يثبت أن ما يحدث على المستوى المجتمع هو شيء أكثر من " **البناء المعياري** " الذي ركز عليه بارسونز، ويتضح ذلك بجلاء في تناوله لموضوع القوة حيث أوضح أن القوة تلعب دوراً كبيراً في المجتمع الحديث، وهي لا تقتصر على وسائل صنع القرارات والتحكم فيها فقط، بل تمتد إلى التحكم فيما يجمع عليه الأفراد والسيطرة عليهم. ولا توضح النظرية العامة لنا الأبنية التي تظهر فيها هذه السيطرة (البناء الاقتصادي- البناء السياسي- البناء العسكري). بل على العكس من ذلك تماماً تدعونا فكرة النظام المعياري التي ترتكز عليها النظرية العامة إلى أن نفترض أن القوة الشرعية بالضرورة، وأن هناك ضرباً من ضروب التناغم بين المصالح. يؤدي ذلك بالنهاية إلى استبعاد للفكرة الصراع، حيث لا إمكانية لدراسة التغير الاجتماعي أو التعامل مع التاريخ[٨٣].

وقد اعتبر ميلز أن السبب الرئيسي لهذا الارتباط الإيديولوجي هو الارتباط بمشكلة النظام العام للمجتمع بالشكل الذي قدمه **توماس هوبز***، حيث أصبحت المشكلة مشكلة تكامل بالدرجة الأولى. ولكن ما موقف ميلز من هذه المشكلة ؟

أن موقف رايت ينحصر في هذا الجانب في رفضه لهذه المشكلة كمشكلة وحيدة للعلوم الاجتماعية، فليس هناك إجابة محددة للسؤال الآتي: وهو **ما الذي يحقق الاستقرار في البناء**

الاجتماعي؟ على الرغم من أن الأبنية الاجتماعية تختلف اختلافاً جذرياً في درجة ترابطها ونوعية هذا الترابط. حقيقة أننا نكتشف بعض ضروب التكامل داخل البناء الاجتماعي كما يتضح في الأنظمة السياسية والقرابية والعسكرية والاقتصادية، ولكن لا يمكن أن نفصلها عن التطور التاريخي لهذا البناء، ومن هنا فإن نظرية البناء الاجتماعي لا يمكن أن تفصل عن التاريخ. وبذلك لا توجد أي صعوبة أمام العلماء الاجتماعيين في فهم كل من البناء الاجتماعي والتاريخي بطريقة واحدة [٨٤]. وفي هذه الحالة لا تصبح مشكلة النظام العام هي المشكلة العامة الوحيدة، ولكن تصبح مشكلة التغير مشكلة عامة. الأولى تعكس دراسة البناء الاجتماعي، والثانية تعكس دراسة التاريخ في ارتباطه بهذا البناء[٨٥].

- أما عن موقف ميلز من الاتجاه الإمبيريقي، فقد رفضه كما رفض النظريات الكبرى. إلا أننا قبل الشروع بالحديث عن نقد ميلز لهذا الاتجاه، سنحاول التعرف عليه بشكل سريع من خلال الاطلاع على فلسفته وإجراءاته المنهجية، ويعتبر **بول لازار سفيلد** أفضل من كتب عن هذا الاتجاه حيث يقول: " تمثل الامبيريقية نقطة تحول حقيقية من الفلسفة الاجتماعية إلى المرحلة العلمية التجريبية، وتتسم موضوعات الدراسة في البحوث الامبيريقية بالسمات الأربعة التالية:

١- دراسة السلوك الواقعي للأفراد بدلاً من التركيز على تاريخ النظم والأفكار.

٢- عدم الاقتصار على دراسة قطاع واحد من قطاعات الحياة الإنسانية، والعناية بربط كل قطاع بغيره من القطاعات.

٣- الاهتمام بدراسة المواقف والمشكلات الاجتماعية المتكررة بدلاً من التركيز على دراسة المواقف والمشكلات التي لها طابع فردي متميز.

٤- دراسة الظواهر المعاصرة بدلاً من التركيز على دراسة الوقائع التاريخية، ويرجع هذا الاتجاه اللا تاريخي إلى نوع من

التفضيل المعرفي حيث إن الباحث يستطيع أن يحصل على البيانات التي يريدها عن الظواهر المعاصرة بسهولة ويسر[٨٦].

بناء على ما تقدم وصف ميلز هذا الاتجاه بأنه اتجاه تجزيئي من حيث أنه يدرس ظواهر منفصلة دون ربطها بنظرية معينة و دون التعمق في أصولها التاريخية. وهو بذلك يسعى إلى انتزاع الظواهر الاجتماعية من سياقها البنائي والتاريخي. فالاتجاه الامبيريقي المتجزئ "... لا يتصف بأنه صاحب أي كيان من الفروض والنظريات، كما أنه لا يستند إلى أي مفاهيم جديدة عن طبيعة المجتمع أو الإنسان أو إلى أي حقائق معينة عنهما. وقد يكون صحيحاً أنه ذاخر بأنواع المشاكل التي يختارها ممارسه للدراسة بشكل تقليدي، وبالطريقة النمطية التي يقومون بدراسة هذه المشاكل بها، إلا أنه من المؤكد أن هذه الدراسات ليست مدعاة أبداً لتلك الشهرة التي يتمتع بها هذا الأسلوب من البحث الاجتماعي[٨٧].

بمعنى آخر أي افتقاد النزعة الامبيريقية السائدة في العلوم الاجتماعية إلى دور النظرية في توجيهه البحث الاجتماعي، حيث أنها تهتم بجمع بيانات متعددة ومجزأة ليس بينها رابط واضح لذلك تأتي نتائج هذه الدراسات تعميمية إلى حد كبير لكنها بعيد كل البعد عن الواقع التاريخي البنائي للمجتمع الإنساني[٨٨].

لذا نجد أن ميلز قد نقد هذا الاتجاه وبقوة، من خلال اعتباره اتجاه يخلو من أية قضايا أو نظريات لها قوة التوجيه، مما أدى إلى عدم امتلاكه للرؤية الواضحة والفهم الجيد لطبيعة الإنسان والمجتمع. وربما كان السبب في ذلك هو محاولة أنصار هذا الاتجاه محاكاة منهج العلوم الطبيعية الأمر الذي جعلهم يهتمون بالمناهج على حساب فهم الواقع فهماً حقيقياً. وفي هذه الحالة يصبح المنهج هو الذي يتحكم في صياغة النظرية وليس الواقع نفسه[٨٩].

" فالنظرية الاجتماعية تصبح بمثابة مجموعة نسقية من هذه المفاهيم أي من المتغيرات المستخدمة التي تفيد في تفسير النتائج الإحصائية "[٩٠]. أي تقتصر البيانات الامبيريقية على الحقائق التي يمكن تحديدها، وعلى العلاقة القابلة للعد، والتكرار، والقياس.

لذلك كان من الطبيعي أن يمهل هذا الاتجاه الدراسة التاريخية والمقارنة مثله في ذلك مثل الاتجاه النظري الخالص. فالامبيريقيون يرفضون الاتجاه التاريخي والمقارن، ويعالجون مجالات محدودة وهم بذلك يقتربون من النزعة " السيكولوجية المفرطة " وهم لا يستفيدون بالأفكار الأساسية عن البناء الاجتماعي التاريخي سواء في تحديد مشكلات دراستهم أو في تفسير نتائجهم ذات المنظور الضيق. ومن هنا كانت مطالبة رايت ميلز بتوسيع النظرة الامبيريقية لتشمل الأبنية التاريخية والمقارنة[٩١].

سعى ميلز إلى أن تكون الكتابات السوسيولوجية كتابات ذات طابع ملتزم تهدف إلى تعميق إحساس المواطنين بقدراتهم الذاتية. وإذا كان ميلز قد ميز بين المشكلات الخاصة التي تواجه الأفراد من ناحية والقضايا العامة المتصلة بواقعهم الثقافي السياسي من ناحية أخرى، إلا أنه قد اعتبر " الخيال السوسيولوجي " بمثابة اتجاه يستطيع الفرد من خلاله فهم خبراته الشخصية في إطار السياق الاجتماعي والتاريخي الواسع الذي يعيش فيه. وربما لهذا السبب بالذات نجد ميلز يعتبر علم الاجتماع بمثابة وسيط يربط السير من ناحية، والتاريخ من ناحية أخرى[٩٢].

لذا يجب أن تتسم الدراسة السوسيولوجية حسب رايت ميلز بالطابع الشامل، بحيث يكون تركيز الباحث على مستويات ثلاثة هي: الإنسان، المجتمع، التاريخ. فالمشكلات الأساسية التي يعاني منها الناس هي نتاج لمشكلات البناء الاجتماعي العام، وهما يرتبطان بمشكلات التاريخ، وفي هذا يقول ميلز " عندما

تصاغ مشكلات العلوم الاجتماعية صوغاً حقيقياً، لابد أن تتضمن كلا المتاعب والقضايا ... التاريخ الشخصي للأفراد، وأيضاً التاريخ العام، ومجال العلاقات القائمة بينهما، لأن حياة الفرد وتكوين المجتمعات كليهما يجريان في نطاق هذا المجال(٩٣).

بذلك يمكن اعتبار أن مفهومي البناء الاجتماعي والتاريخ من أهم المفاهيم التي ارتكز عليها ميلز في نقد ه للمجتمع، حيث أدى الربط بينهما إلى إثارة العديد من التساؤلات والقضايا التي تتصل بتصور الإنسان **" للواقع ككل "** و **" الإطار الحقيقي للمصير الإنساني "**(٩٤).

خامساً- النظرية النقدية عند رايت ميلز:

سنسعى من خلال هذا العنصر إلى تحديد معالم النظرية النقدية عند رايت ميلز، من خلال التركيز على المقولات والقضايا النظرية التي اعتمد عليها ميلز في إخراج مشروعه النقدي السوسيولوجي إلى حيز الواقع الأكاديمي، وهي كالآتي:

- اعتماد مفهوم الخيال السوسيولوجي الواعد كأداة نقدية تهدف إلى فهم الواقع الاجتماعي فهماً سوسيولوجياً تكاملياً:

نلاحظ مما تقدم أن رايت ميلز قد ارجع أزمة علم الاجتماع الغربي إلى التصورات الخاطئة للعلم نفسه. فالمفهوم السوسيولوجي كما ذهب، لابد من أن يكون فكرة ذات مضمون امبيريقي، فإذا كان هذا المضمون أكبر من الفكرة تردى علم الاجتماع وسقط في التيار الإمبيريقي التجزيئي، وإذا كانت الفكرة أوسع من المضمون الإمبيريقي – الشواهد البحثية – وقع علم الاجتماع في شرك عالم المجردات في النظريات الكبرى(٩٥).

لذا سعى ميلز إلى ضرورة تسلح الباحث في مجال علم الاجتماع بما أسماه **" الخيال السوسيولوجي "** حتى يتسنى له إدراك أبعاد مشكلات المجتمع(٩٦). على اعتبار أن هذه الفكرة

تمثل أحد الأدوات النظرية والتحليلية التي تشكل هذا الموقف النظري، لفهم مشكلات الإنسان المعاصر في إطار الكلية التاريخية، وذلك كرد فعل لأزمة الرؤية الكلاسيكية في الفكر السوسيولوجي الغربي[٩٧]. ففكرة الخيال السوسيولوجي تكشف لنا عن وجهي النقد عند رايت ميلز، ونعني بذلك النقد السوسيولوجي والنقد الاجتماعي، وهي الأداة التي يجب أن يتوسل بها الباحث في نقده ورفضه لأساليب السيطرة والتحكم التي تضرب بجذورها بأعماق كل عناصر البناء الاجتماعي[٩٨].

تقوم فكرة " **الخيال السوسيولوجي** " على الربط بين مستويين من مستويات التحليل: مستوى **المجتمع** أو (البناء الاجتماعي) ومستوى **الفرد**، وذلك انطلاقاً من مسلمة أساسية مؤداها أن حياة الفرد أو تاريخ المجتمع لا يمكن فهم أي منهما دون فهم الآخر والعلاقة التي تربط بينهما، فإذا كان الأفراد لا يملكون القدرة على فهم العلاقة بين الإنسان والمجتمع، أو بين تاريخ الإنسان وتاريخ المجتمع، أو بين الذات والعالم المحيط بها، فإنهم بحاجة إلى مجموعة من المهارات العقلية التي تمكنهم من تكوين فكرة جلية لما يدور حولهم وما سوف يحدث لهم تأثراً بهذا العالم، هذه القدرة العقلية هي ما أطلق عليها رايت ميلز " **الخيال السوسيولوجي** ". وهي قدرة ليست مطلوبة من الباحثين في علم الاجتماع فقط، وإنما يجب أن يمتلكها الصحفيون والدارسون والفنانون، وحتى عامة الناس[٩٩] .

و**الخيال السوسيولوجي** كما يعرفه **ميلز** هو: " **الذي يمكن صاحبه من فهم الإطار التاريخي الأوسع ، في ضوء معانيه ودلالاته سواء بالنسبة للحياة الذاتية الشخصية أو بالنسبة للمسار الخارجي لأنماط كثيرة من الأفراد. وهذا الخيال هو الذي يمكن صاحبه من إدراك الكيفية التي يصبح بها وعي الناس المعرفي في تجاربهم وحياتهم اليومية، وعياً زائفاً بأوضاعهم الاجتماعية[١٠٠]. أو هو الذي يمكننا من استيعاب التاريخ وسير الحياة الذاتية، وأيضاً إدراك العلاقة بينهما في**

سياق المجتمع. ومن ثم كان هو المهمة وكان هو الوعد[١٠١]. باختصار يعني الخيال السوسيولوجي القدرة على الانتقال من التحولات اللا شخصية والتحولات البنائية إلى أكثر السمات قرباً والتصاقاً بالذات البشرية- والقدرة على رؤية العلاقات بين هذه التحولات وتلك السمات والخصائص . ويكمن وراء استخدام هذا الخيال السوسيولوجي الرغبة والتطلع إلى معرفة المغزى الاجتماعي والتاريخي للفرد في المجتمع وفي المرحلة التاريخية التي تحدد وجوده وطابعه النوعي[١٠٢] ". فباستخدام الخيال السوسيولوجي سيشعر الناس الذين ظلت عقولهم محصورة في مجموعة محددة من الدوائر وكأنهم استيقظوا فجأة على حقيقة مغايرة لتلك التي كانوا يظنون أنفسهم على معرفة بها.

وعليه يقول رايت ميلز " أن الخيال السوسيولوجي يمكن مالكه من فهم الإطار التاريخي الأوسع في ضوء معناه ودلالاته بالنسبة للحياة الذاتية الشخصية والمسار الخارجي لعدد من الأفراد. أنه يمكنه أن يفسر كيف يصبح لدى الأفراد في غمرة حياتهم اليومية المضطربة وعياً زائفاً بأوضاعهم الاجتماعية... ومن خلاله يستطيع أن يرجع مظاهر القلق الشخصي إلى مجموعة من الاضطرابات الفردية (الهموم الفردية) وأن يربط بين اللامبالاة التي تعيشها الجماهير وبين المشاكل العامة "[١٠٣]، ويكشف هذا النص عن مستويات التحليل التي يتيحها الخيال السوسيولوجي، كما يكشف عن الهدف الأساسي من هذا الخيال. حيث يتيح هذا الخيال مستويان للتحليل وهما كالآتي:

- **المستوى الأول:** هو مستوى الفرد فكل ما يعانيه من اضطرابات تفرضها عليه حياته في مجتمع مستغل.

- أما **المستوى الثاني:** هو مستوى المجتمع أو البناء الاجتماعي لكل ما يزخر به هذا البناء من مشاكل عامة، فقدرة الباحث تتجلى في الربط بين مظاهر الاضطراب الشخصي وبين مشاكل البناء الاجتماعي. وهنا يظهر الهدف الأساسي للخيال

السوسيولوجي، والذي ينحصر في إكساب الأفراد وعياً حقيقياً بمشكلات مجتمعهم يجعلهم قادرين على الربط بين مشكلاتهم الخاصة ومشكلات المجتمع العامة. وهنا تكمن القدرة الواعد للخيال السوسيولوجي(١٠٤).

فالمستويان السابقان يستندان على قدرة الخيال السوسيولوجي في التمييز بين المتاعب الشخصية الناتجة عن الخبرة المباشرة للإنسان وبين القضايا العامة الناتجة عن البناء الاجتماعي. لذا يعد هذا التمييز أداة هامة من أدوات الخيال السوسيولوجي ومعلم من معالم الأعمال النقدية في العلم الاجتماعي. وينحصر هذا التمييز حسب ميلز بين (**المتاعب والقضايا**)، حيث يقول: " أن (**المتاعب**) تحدث في نطاق البيئة الشخصية للفرد وفي نطاق علاقاته المباشرة بالآخرين، فهي ذات صلة بذاته وبتلك المجالات المحدودة من الحياة الاجتماعية التي يعيها بصورة مباشرة وشخصية. وبناء على ذلك، فإن إدراك نوعية المتاعب والأسلوب الأنسب لمواجهتها يكمن لدى الفرد بوصفه كياناً له ظروفه التاريخية الخاصة المتميزة. فالمتاعب إذن مسألة خاصة: قيم يعتنقها الفرد ويشعر أنها معرضة للخطر"(١٠٥).

أما (**القضايا**) فإنها تتعلق بالأمور التي تتجاوز هذه الأوساط الاجتماعية المحلية للفرد ومجال حياته الداخلية. حيث ترتبط بتنظيم كثير من تلك الأوساط في شكل المؤسسات ذات الطابع التاريخي الاجتماعي الشمولي. **فالقضية** هي **مسألة عامة: أي أن عامة الناس يشعرون بأن قيمة ما من التي يعتنقونها قد أصبحت في خطر**. فالقضية في الواقع، تعني أزمة في النظم الاجتماعية، كما أنها تعني ما يسميه الماركسيون " **تناقضات** " أو "**عداءات** "(١٠٦).

ولكن ما هي القضايا الرئيسية لعامة الناس. وما هي المتاعب الأساسية للأفراد في عصرنا الحالي؟ لكي يتم تحديد القضايا والمتاعب علينا أولاً أن نتساءل ما هي القيم التي يعتنقها

الناس ومع ذلك مهددة بالخطر؟ وما هي القيم التي يعتنقها الناس وتلقى الدعم والمساندة ؟. وفي كل من حالتي التهديد والدعم علينا أن نتساءل ما هي تناقضات البناء الاجتماعي الكامنة في كل من المتاعب والقضايا ؟

١- عندما يعتنق الناس قيم بعينها ولا يشعرون بأي قدر من التهديد إزاءها، فإنهم يشعرون بأن حياتهم رحبة أو مواتية.

٢- أما عندما يعتنقون قيماً ولكنهم يشعرون " فعلاً " أنها مهددة، فإنهم يشعرون بالأزمة التي يكون الإحساس بها إما متاعب شخصية أو كقضية عامة .

٣- أما إذا بدت جميع قيمهم خاضعة للتهديد، ففي هذه الحالة تنتابهم حالة من الهلع .

٤- لكن إذا كان الناس لا هم مدركين لأي قيم يعتنقونها ولا يشعرون بأي تهديد لها، عندئذ تكون حالة اللامبالاة، التي وإن اشتملت على جميع قيمهم يكون الجمود والبلادة.

٥- لنفترض أخيراً أنهم لا يدركون أي قيم من تلك التي يعتنقونها، ولكنهم لا يزالوا يدركون التهديد الواقع عليها، فإن تلك حالة من " القلق " المضني التي إذا كانت شاملة بدرجة كافية، فإنها تصبح عملية مميتة للناس.

٦- فإذا لم تتضح لدينا القيم المهددة أو ما يهددها، أي لم تصل الأمور بعد إلى اتخاذ قرار بشأنها، فعلى الأقل يجب أن تصاغ كمشاكل تدخل في اهتمامات علم الاجتماع[١٠٧].

بناءً على ما تقدم نجد أن ميلز اعتبر أن أهم المشكلات هي مشكلات القلق واللامبالاة التي تنتشر في الوسط الشخصي. أما أهم المشكلات العامة فإنها ترتبط بالقوى غير الحقيقية التي تتحكم في مجتمعنا المعاصر، مع ما يصاحب هذه القوى من طرق إنتاج تذكي الاغتراب وما يلازمها من أساليب للسيطرة السياسية والفوضى النظامية[١٠٨].

ولابد أن يكون فكرة الخيال السوسيولوجي قاسماً مشتركاً عاماً في الحياة الثقافة في هذا العصر. لأننا بحاجة إليها لكي نميط اللثام عن عناصر القلق واللامبالاة التي يسببها النظام القائم بكل ما فيه من عناصر التحكم والسيطرة. وهذه مهمة فكرية سياسية يجب أن تناط بالباحث المتخصص في العلوم الاجتماعية، فهي مهمة تقع على عاتق الباحث السوسيولوجي وكل زملائه المتخصصين في فروع المعرفة الأخرى: علماء الطبيعة، والفنانون، والمجتمع الثقافي برمته. والباحث السوسيولوجي يستطيع أن ينجز هذه المهمة من خلال تبنيه لفكرة الخيال السوسيولوجي الذي يسعى إلى فهم أعمق لواقعنا الخاص في ارتباطه بالواقع الاجتماعي الأعم (١٠٩).

* من خلال العرض السابق والمختصر لقدرة الخيال السوسيولوجي على فهم الواقع الاجتماعي يتضح لنا ثلاث حقائق على جانب كبير من الأهمية(١١٠):

١- قدرة الخيال السوسيولوجي الواعدة كأداة نظرية ومنهجية، حيث تتمثل هذه القدرة في تفادي نقاط الضعف التي وقع فيها كل من المنظرين ذوي الميول التجريدية، والامبيريقيين ذوي الميول الإحصائية الخالية من أي مضمون حقيقي. ومن ثم القدرة على الدراسة التاريخية للواقع الاجتماعي وتصعيد التحليل السوسيولوجي عبر مستويات مختلفة فردية واجتماعية داخل البناء الاجتماعي، الأمر الذي يؤدي إلى الكشف عما ينتجه هذا البناء من مشكلات عامة تؤدي بدورها إلى مشكلات واضطرابات على المستوى الفرد.

٢- راديكالية مفهوم الخيال السوسيولوجي نفسه، وهي راديكالية تكشف عن نفسها سواءً في مستواها السوسيولوجي أو الاجتماعي وهو يثور على النظرية الكبرى وعلى النزعة الامبيريقية. فلا يمكن أن نبدأ بأي منهما. وإذا كان ميلز قد ركز على البناء التاريخي للمجتمع وعلى ما ينتج عنه من مظاهر سلوك الأفراد، فليس ذلك أننا يمكن أن نبدأ الدراسة من أي

منهما، على العكس من ذلك يجب أن نحدد العلاقات بينهما فنكشف عن تأثير البناء الاجتماعي على السلوك الفري أو تأثير السلوك الفردي على البناء الاجتماعي. وينقلنا ذلك إلى ثنائية أخرى بين المشكلات العامة والمشكلات الخاصة. وإلى جانب هذه الراديكالية السوسيولوجية يكشف لنا مفهوم الخيال السوسيولوجي عن راديكالية اجتماعية، فهو يحدد للباحث أسلوباً في الدراسة الواقع الاجتماعي ونقده .

٣- امتداد التفكير النظري لرايت ميلز إبتداءاً من أعماله الأولى وحتى أعماله الأخيرة على نسق منهجي واحد، ويظهر ذلك من خلال كتابه " الخيال السوسيولوجي " قبل الأخير، إذ يعد هذا الكتاب امتداداً لما آثاره في إحدى دراساته النظرية المبكرة التي اشترك فيها مع هانز جيرث، و اعني كتاب " **الشخصية والبناء الاجتماعي**"* عام ١٩٥٣، فقد حاولا المزج بين نظريات فرويد وماركس، وكتبا في تصدير كتابهما يقولان " لا شك أنه حينما نستعرض مجال علم النفس الاجتماعي تتكون لدينا فكرة مؤداها أن كل الأعمال المعاصرة تتوافق مع تراثيين أساسيين: تراث فرويد عن بناء الشخصية من ناحية وتراث ماركس عن البناء الاجتماعي[١١١].

وفي نهاية المطاف يؤكد رايت ميلز على أن الباحث السوسيولوجي الذي يتصف فكره بالخيال السوسيولوجي يجب عليه أن يطرح مجموعة من الأسئلة من جهة، وفي المقابل أشاد بالمحللين السوسيولوجيين الذين كانوا على وعي بهذا الوعد في أعمالهم من جهة أخرى، فهم الذين اهتموا بطرح متسق لثلاث مجموعات من الأسئلة الرئيسية تحوي على أسئلة فرعية أيضاً، كانت على النحو التالي[١١٢]:

المجموعة الأولى: ما هو البناء الاجتماعي الكلي لهذا المجتمع النوعي؟ ماهي مكوناته الجوهرية، وكيف ترتبط بعضها ببعض؟ وكيف يتغاير كل منها عن بقية المكونات المتباينة داخل النظام

الاجتماعي الكلي؟ وفي داخل كل منهما، ما هو معنى ودلالة أية سمة خاصة بالنسبة لاستمرارية هذا المكون وتغيره؟

المجموعة الثانية: أين يقع هذا المجتمع من تاريخ الإنسانية ومراحل تطويرها؟ ما هي ميكانزمات تغيره؟ ما هو مكان هذا المجتمع، ومعناه ودلالته بالنسبة لتطور الإنسانية ككل؟ كيف تتأثر آية سمة نوعية ندرسها، وكيف تؤثر في المرحلة التاريخية التي يتحرك عبرها؟ ماهي الملامح الأساسية الجوهرية لهذه المرحلة؟ وكيف تختلف عن غيرها من المراحل؟ ماهي ملامحها المتميزة في صناعة تاريخ الإنسان؟

المجموعة الثالثة: وأما التساؤلات التي تنتمي إلى المجموعة الثالثة فهي كالآتي:

ما نوعية الرجال والنساء المسيطرين والمميزين في هذا المجتمع في هذه المرحلة؟ وما هي دواعي تميزهم وسيطريهم؟ ما نوعية الطبيعة الإنسانية التي تظهر وتتضح من خلال السلوك والشخصية التي نلاحظها في هذا المجتمع، في هذه الفترة؟ وأخيراً ما مغرى ودلالة هذه الطبيعة الإنسانية؟ وأيضاً ما مغزى ودلالة كل سمة وكل قسمة من قسمات المجتمع الذي ندرسه؟

يرى ميلز أن هذه الأسئلة الرئيسية يجب أن تكون ملحة وضرورية سواءً كان اهتمام البحث منصباً على قوة الدولة، أو على مزاج بسيط، أو على الأسرة. وهي بطبيعة الحال أسئلة ضرورية لكل تحليل سوسيولوجي جيد، إذ كانت أسئلة مميزة للأعمال الكلاسيكية الرائدة، كما هي الآن بالنسبة لكل باحث يتمسك بالخيال السوسيولوجي. هذه هي بإيجاز توجيهات رايت ميلز وتساؤلاته التي تعبر عن ركائز مشروعه السوسيولوجي(١١٣) .

وفي نهاية المطاف نستنتج مما تقدم أن رايت ميلز قد اعتبر الخيال السوسيولوجي حسب رأيه، من أهم الوسائل الأساسية التي تسعى إلى ربط النظرية بالواقع، لأن الخيال السوسيولوجي بناءاً على ما تقدم يساهم، فيما يلي(١١٤):

١- توجيه الفكر السوسيولوجي نحو دراسة الواقع من خلال رؤية بنائية تاريخية شاملة بعيداً عن الرؤية الامبيريقية التجزيئية أو النظرية الكبرى المجردة .

٢- مساعدة عالم الاجتماع في فهم العناصر البنائية – التاريخية، حيث يعطيه الخيال السوسيولوجي الرؤية الحقيقية، لا المزيفة عن مشكلات العصر فهو يدعو عالم الاجتماع إلى تأمل العصر الفكري، الذي يعيشه والوقوف على أهم المشكلات التي يعاني منها الإنسان الغربي، مما يسهم في ترسيخ قيم إنسانية حرة.

٣- يساعد الخيال السوسيولوجي على كشف الدعاوي الفكرية المزيفة تلك الدعاوي التي سادت خمسينيات القرن العشرين مثل استقلالية الفكر الاجتماعي وارتباطه بالمؤسسة العسكرية الحاكمة وبرجال السلطة وصفوة القوى مما أدى إلى تخليهم عن القيم الأخلاقية والعلمية، وبالتالي أصبحوا في حالة عزلة واغتراب.

٤- يدعو الخيال السوسيولوجي إلى ضرورة فهم المجتمع والإنسان خلال علاقاتهما الجدلية المتبادلة، فلا يمكن فهم القضايا الخاصة بمعزل عن القضايا الكبرى، ولا يمكن فصل القضايا العامة عن المشكلات الخاصة بالإنسان .

٢- توظيف البعد التاريخي في مجال الدراسات الاجتماعية لفهم البناء الاجتماعي :

يرى رايت ميلز أن علم الاجتماع يتعامل مع مشاكل البيوغرافيا، والتاريخ، ومع تقاطعاتهما داخل البناء الاجتماعي، حيث يعتقد ميلز أن هذه العناصر الثلاث المتمثلة بـ: البيوغرافيا، والتاريخ، والمجتمع، هي عبارة عن نقاط تتساوي في أهميتها بالنسبة للدراسة المناسبة للإنسان ولواقعه الاجتماعي .

تمثل هذه النقاط الرئيسية لميلز مساحة رئيسية ارتكز عليها في نقد لمختلف مدارس علم الاجتماع التي أهمل ممارسوها هذا

التقليد الكلاسيكي. فالمشاكل الحالية التي نواجهها في عصرنا لا يمكن دراستها بصورة كافية ومناسبة دون ممارسة للرأي الذي يقول بأن التاريخ يمثل العامود الفقري للدراسة الاجتماعية التي لها أساسها السوسيولوجي وتوافقها التاريخي. لأن بدون توظيف التاريخ لا يستطيع عالم الاجتماع يحدد ويقرر أنواع المشاكل التي ينبغي أن تكون نقاط التوجيه للدراسات التي يقوم بها[١١٥].

فإذا أراد عالم الاجتماع أن يفهم التغيرات الديناميكية التي تقع في أي بناء الاجتماعي معاصر، فيجب عليه أن يكشف ويتتبع بوضوح التطورات طويلة الأمد التي حدث في هذا البناء الاجتماعي الذي سيقوم بدراسته. بعد ذلك ينبغي عليه أن يطرح بعد التساؤلات الهامة حوله: ماهي الديناميات التي وقعت بها هذه التطورات مما أدى إلى حدوث التغيير بهذا المجتمع؟ فمن خلال هذه التساؤلات سيصل اهتمام عالم الاجتماع بهذه التطورات إلى ذروته. هذه الذروة لها علاقة بالانتقال التاريخي من حقبة إلى أخرى. وبذلك نسمي هذه العملية ببناء الحقبة التاريخية، فيرى ميلز أن على عالم الاجتماع، الذي يرغب في فهم طبيعة الحقبة الحالية لتحديد البناء الخاص بها، وللكشف عن القوى الرئيسية التي تعمل داخله. لابد له من أن يحددها تحديداً ملائماً، حتى تصبح ميداناً واضحاً للدراسة تؤدي به إلى الكشف عن ميكانيزمات صنع التاريخ الخاص به، ويضرب ميلز مثال على هذا الطرح، فيقول: **" أن الدور الذي تلعبه صفوة القوة في صنع التاريخ، يختلف وفقاً للمدى الذي تتمركز فيه وسائل القرار النظامية والمؤسسية "**[١١٦].

يعتبر ميلز مفهوم البناء الاجتماعي وديناميات **" العصر الحديث "**، مفهوم من المفاهيم المركزية. لأنه يتمتع بالخصوصية والسمات الجوهرية الفريدة التي قد يتميز بها، لذا لابد للعلوم الاجتماعية وفي مقدمتها علم الاجتماع من الاعتراف به كمكون أساسي يتصل بالبعد التاريخي عند القيام بدراسة المجتمع ما. لأن معظم المشاكل الكلاسيكية التي تعاني منها

العلوم الاجتماعية الحديثة لها في الحقيقة علاقة بغياب أحد التفسيرات المفصلية التي تعتبر أقرب إلى التفسير التاريخي المحدد: وهو تفسير نشأة، ومكونات، وشكل، المجتمعات الحضرية الصناعية في الغرب الحديث، الذي غالباً ما يكون نقيضاً لعصر الإقطاع .

ويرى ميلز أن الكثير من المفاهيم التي يشيع استخدمها أكثر في علم الاجتماع، هي مفاهيم لها صلة بالتحول التاريخي من المجتمع الريفي إلى عهود الإقطاع إلى المجتمع الحضري في العصر الحديث من هذه المفاهيم نذكر منها: مفاهيم (**مين**) عن المكانة الاجتماعية والعقد الاجتماعي. مفاهيم (**تونيز**) عن المجتمع المحلي والمجتمع العام. مفاهيم (**فيبر**) عن المكانة الاجتماعية. مفاهيم (**هربرت سبنسر**) عن المجتمع الصناعي. مفاهيم (**ريدفيلد**) عن المجتمع الشعبي، مفاهيم (**بيكر**) عن المجتمع المقدس، والمجتمع العلماني...إلخ. كل المفاهيم سابقة الذكر مهما كان شيوع استخدامها، فهي مفاهيم قد ترسخت جذورها جمعياً من الناحية التاريخية. بل حتى أولئك الذين يعتقدون بأنهم لا يعملون مستخدمين التاريخ، فهم يكشفون بصفة عامة باستخدامهم لمثل هذه التعبيرات قدراً من الفهم بالتيارات التاريخية بل وحتى إحساس بالعصر [١١٧].

يحث ميلز علماء الاجتماع في نطاق هذا الوعي بديناميات وشكل " **العصر الحديث** " وبطبيعة أزماته، الاهتمام المعياري بالتيارات. فنحن عندما نحاول دراسة التيارات للذهاب إلى ما وراء الأحداث لكي ننظم إحساسنا بها. لذا فإننا في مثل هذه الدراسات، فإننا غالباً ما نحاول التركيز على كل تيار فيما يسبق بقليل الوضع الذي صار عليه الآن، والأكثر أهمية لكي ترى جميع التيارات في الحال، وهي أجزاء متحركة للبناء الشامل للعصر[١١٨].

لذا يجب على علماء الاجتماع أن يحاولوا دراسة التاريخ وليس التقهقر بداخله، والاهتمام بالتيارات المعاصرة دون أن

نكون " **مجرد صحفيين** "، وأن نستشرف مستقبل هذه التيارات دون أن يكون عملنا قاصر فقط على مجرد التنبؤ. مما يوجب على عالم الاجتماع قبل كل شيء، أن يحاول رؤية التيارات الرئيسية المتعددة معاً- من الناحية البنائية بأكثر من رؤيتها من أشياء واقعة في أوساط اجتماعية مبعثرة. لأن هذه الرؤية تمثل الهدف الذي يعطي دراسة التيارات صلتها الخاصة بفهم العصر، الذي يتطلب الاستخدام الكامل والاستفادة البارعة بمادة التاريخ(١١٩).

مما تقدم نجد أن رايت ميلز قد دعا إلى ضرورة إيجاد رؤية تصورية جديدة لعلم الاجتماع، وهي رؤية لا تستند إلى إبراز التعارض بين فكرة الصراع أو التوافق، أو بين التغير والاستقرار، بل إن قوامها دراسة الإنسان في إطار التاريخ، أو كما يقول ميلز دراسة التفاعل بين التاريخ الشخصي والتاريخ الإنساني، وهذا يعني من جانبه عوداً إلى علم الاجتماع التاريخي الذي أغفلته الوظيفية. ذلك أن علم الاجتماع في تصور ميلز ينبغي أن يكون تاريخياً حتى يستطيع أن يدرك المشكلات الاجتماعية الحاسمة التي تواجه البشرية وذلك لأن طبيعة الظواهر الاجتماعية تستلزم قيام تصور لهذه الظواهر يحوي أبعادها التاريخية(١٢٠).

٣- تعميق مبادئ الالتزام الأخلاقي والحرية الأكاديمية لعالم الاجتماع:

عبر رايت ميلز من خلال كتاباته عن الالتزامه الأخلاقي والحرية الأكاديمية الهادفين إلى تحقيق إنسان الإنسان المهدورة، فكان دائم الحرص على إبراز قيم الصدق والتأمل والحرية، لذا سعى إلى أن تتجسد هذه القيم على أرض الواقع الاجتماعي و واقع الفكر الحي الخلاق. لأن الالتزام بهذه القيم هو وحده القادر على تحويل الأفراد المنعزلين إلى أشخاص يشكلون جمهور حقيقي(١٢١).

يقدم ميلز دليلاً على راديكاليته في هذا الجانب، حين عرض موقفه من دور الباحث في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، وعلم الاجتماع بصفة خاصة. من خلال نقده للدور الكلاسيكي الذي يقوم به عالم الاجتماع، ومن ثم الثورة على أهداف البحث والتنظير في العلم، حيث يكشف ذلك عن ضرب من ضروب النقد السوسيولوجي. وفي جانب آخر تصور ميلز دوراً جديداً لعالم الاجتماع في المجتمع الحديث الذي يسعى من خلاله إلى نقد الواقع، وكشف ما يتحكم في بنائه من قوى، وما يرتبط به من مشكلات ونواقص، حيث يمثل ذلك أسلوباً من أساليب النقد الاجتماعي(١٢٢). وهنا نتسأل ما هو الدور المنوط بالعالم المتخصص بالعلوم الاجتماعية؟ لاشك أن دور العالم يختلف باختلاف الإطار الاجتماعي والتاريخي المحيط به، وباختلاف طبيعة الضغوط التي يفرضها هذا الإطار المحيط. فالعقل البشري يمكن أن يوجه لخدمة أغراض متعددة، ويمكن أن يقوم بأدوار متعددة ذات طبيعة وأهداف مختلفة، لذا نجد أن ميلز قد حصر دور الباحث في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، وفي علم الاجتماع بصفة خاصة، في ثلاثة أدوار رئيسية مختلفة الأغراض والأهداف(١٢٣).

- **الأول:** يستطيع الباحث في علم الاجتماع أن يصبح فيلسوفاً للحاكم، فمنذ أوغست كونت وحتى **كارل مانهايم** يستطيع المرء أن يجد محاولات مستميتة لتنظيم دور العقل. وعندما ينخرط هذا الباحث المنظر في الأمور السياسية، أو يوجه نظرياته لخدمتها، يصبح فيلسوف للحاكم، وتصبح جودة الممارسة السياسية مرتبطة إلى حد كبير بكفاءة المفكرين المدافعين عنها.

- **الثاني:** يستطيع الباحث في علم الاجتماع أن يصبح مستشاراً للحاكم في الدولة، وفي هذه الحالة تصبح العلوم الاجتماعية أداة رشيدة في يد الدولة لممارسة الضبط والرقابة على الأفراد، وبذلك يفقد الباحث الحياد الأخلاقي، ويوجه بحوثه

من أجل تحديد الأدوات الإدارية وأساليب السيطرة أو التحريك الخفي للجماهير.

- **الثالث**: يستطيع الباحث في علم الاجتماع أن يصبح مستقلاً عن الحاكم وعن الدولة، وأن يختار الأبحاث التي يعمل فيها بنفسه، وكذلك المشكلات التي يتناولها بالدراسة، وأن يخضع القوة والجماهير للدراسة في ذات الوقت. كل ذلك في إطار من الالتزام .

بالطبع رفض رايت ميلز الدور الأول والثاني. لأن الأول يرتبط بالاتجاه العقلي أو النظرية الكبرى التي تعرض لها بالنقد، والثاني يرتبط بالاتجاه الإمبيريقي المجرد الذي نقده أيضاً، ولكن رفضه للاتجاهين الأول والثاني لا يعتمد على نقد ودحض النظرية الكبرى أو الاتجاه الإمبيريقي المجرد، بقدر ما يعتمد على الدور الذي يقوم به كل من هذين الاتجاهين في خدمة النظام القائم والدفاع عنه. لأن هؤلاء المنظرين والباحثين يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بصانعي القرار في المجتمع، فكان من الطبيعي أن تكون نظرياتهم آراءهم مثقلة بالأحكام القيمية[١٢٤]. حقيقةً أن كل نظرية سوسيولوجية وكل بحث سوسيولوجي يجب أن يكون له معنى سياسي، ويجب أن يرتبط بمجموعة من القيم، ولكن عندما تكون هذه المعاني وتلك القيم صادرة من أعلى أو موجهة لخدمة قطاع دون آخر فإن وجودها ليس له قيمة ويقول ميلز في هذا الصدد: " لسنا بحاجة إلى هؤلاء العلماء الاجتماعيين الذين يسمحون للأحداث المحيطة ببحوثهم أن تشكل المعنى السياسي لهذه البحوث، أو في جانب آخر يسمحون للأفراد الآخرين بأن يحددوا أسلوب الاستفادة بهذه البحوث حسب أهوائهم "[١٢٥].

إذن ليس معنى ذلك أن ميلز سعى إلى أن يصبح علم الاجتماع علماً متحرراً من القيم، بل على العكس من ذلك تماماً يرى ضرورة أن يكون الباحث ملتزماً بمجموعة من القيم، وليس هناك من سبيل لتفادي اختيارات القيمة والتأثر بها في

البحوث السوسيولوجية، فالمشكلة لا تتمثل في الاختيار القيمي، ولكنها تتمثل أساساً في نوعية هذا الاختيار، فإذا ارتبطت قيم الباحث بالدفاع عن الوضع القائم، ووجهت نحو أغراض بيروقراطية وإيديولوجية، فإن ذلك يمثل انحرافاً للعلم عن مساره الصحيح. لذا نجد أن ميلز قد رفض دور الباحث كفيلسوف أو مستشار للدولة لأنه يلتزم بقيم يفرضها المجتمع الرأسمالي، بحيث يتم الإقلال من دور العقل الحر أو التفكير الليبرالي الحقيقي الذي ورثنا من عصر التنوير إلى أن طوقته الحضارة الغربية بنظمها الإيديولوجية(١٢٦).

فلا يمكن دراسة البناء الاجتماعي دراسة حقيقية دون رؤية شخصية تقوم على مجموعة من القيم يلتزم بها الباحث، وأن التحرر الكامل من القيم يجعل عالم الاجتماع يتناسى أنه مواطن وجزء من المجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه .

بناءً على ما تقدم نجد أن ميلز قد رفض الدور الأول والثاني لعالم الاجتماع، حيث قبل الدور الثالث الذي يلزم الباحث بالاستقلال الفكري عن القوى والضغط التي يفرضها البناء النظامي. لذا حصر ميلز على أن يكون عالم الاجتماع عالماً ملتزماً، يلتزم بثلاثة أنواع من القيم: قيمة البحث عن الحقيقة بكل دلالاتها السياسية، قيمة العقل، قيمة الحرية .

وفي جانب آخر تعرض ميلز لمفهوم " **الموضوعية** " حيث أعتبرها جزءاً من الحقيقة، فبدى بذلك متفقاً مع فيبر، إلا أن ميلز قد افترق في نفس الوقت عن أولئك الذين اختزلوا معنى الموضوعية وحولوها إلى مشكلة محدودة تتصل بالمنهج العلمي(١٢٧). فقد اعتبر ميلز الموضوعية قضية شاملة ترتبط أوثق الارتباط بالوعي الحقيقي الذي يجب أن يتزود به العلماء الاجتماعيون، ذلك الوعي الذي يفرض ضرورة فهم الإنسان والمجتمع في علاقاتهما المتبادلة. والواقع أن فهم ميلز لقضية الموضوعية فهماً ثرياً أعاد إلى أذهاننا تلك المناقشات المنهجية التي أثارها الرعيل الأول من علماء الاجتماع(١٢٨).

ويبدو أن قضية الموضوعية قد شكلت بالنسبة لميلز الدعامة الهامة التي أقام عليها تصوراته المنهجية والنظرية والإيديولوجية. ففي ثلاث مقالات شهيرة نجده يناقش القضايا المعرفية والمنطقية الشائعة في علم الاجتماع. ذاهباً إلى أن تحقيق الموضوعية يتطلب إقامة نظرية اجتماعية تكون واعية ومجسد لفهم عميق لدور المقولات الفكرية ومحدداتها الاجتماعية والثقافية. ولقد عبر رايت ميلز عن موقفه هذا بقوله: " في كتابات علماء الاجتماع الكلاسيكيين أمثال: ماركس، وفيبر، و دوركايم، لا نجد فصلاً تعسفياً بين النظرية والمنهج. إذ أنهما يتجهان نحو فهم الظاهرة بطريقة تسمح بتحديد المشكلات الفعلية. ويجب أن يكون ذلك بمثابة درس هام لعلماء الاجتماع المعاصرين الذين انصرفوا عن معرفة هذه المشكلات بحجة الاهتمام بنزعة علمية مزيفة" (١٢٩). ويبدو أن هذا النص يحتل أهمية استراتيجية في الفكر ميلز. فإذا ما اتجه العلماء الاجتماعيون نحو فهم مشكلات معينة، وجدوا أنفسهم في مواجهة القيم الإنسانية التي يجب أن يتخذوا منها موقفا محدداًً. أي أن صياغة المشكلة تتطلب تحديد القيم التي ينطوي عليها(١٣٠). ومعنى هذا أن ميلز قد اعتبر الأحداث أو الظواهر وقائع ذات معنى حينما تدخل مجال القيم، ذلك أن الوقائع والقيم يوجدان داخل إطار واحد شامل يضمها معاً. فالقيم دون الوقائع هي مجرد قوالب مجردة لا حياة فيها، تماماً كما أن الوقائع دون قيم هي مجرد أحداث فردية لا معنى لها. أي أن الأحداث والظواهر تصبح وقائع ذات مغزى إنساني عميق إذا ما وضعناها في الإطار الكلي للوعي الإنساني. وبذلك كان ميلز واعياً تماماً بأنه يعيش عصر تسوده الفوضى الفكرية وتعوذه القيم الإنسانية الموجهة، وأن علماء الاجتماع المعاصرين قد انسحبوا من روح هذا العصر، واكتفوا بدراسة قطاعات محدودة منه متأثرين في ذلك بفلسفة العلوم الطبيعية. وربما شكل ذلك ظرفاً كافياً لكي يشن ميلز أعنف هجوم على ما أطلق عليهم " الحرفين الفكريين " الذين خضعوا لطغيان المفاهيم، وعبودية

المنهج والأدوات حتى أصبحوا عبيداً للمنهج والنظرية دون أن يكونوا سادة لهما. ويبدو أن ميلز قد قصد أن بهذا الهجوم طرح تصور أكثر شمولاً وإنسانية لقضية الموضوعية في العلوم الاجتماعية. إذ نجده يرفض النظر إلى الموضوعية في ضوء المسلمات المنهجية الضيقة الشائعة في هذه العلوم، مطالباً بخيال سوسيولوجي يربط الوقائع بالأفكار ربطاً إبداعياً في إطار عملية جدلية تتيح للباحث الاقتراب والابتعاد عن الظاهرة موضوع الدراسة(١٣١).

ومعنى ذلك أن الباحث يجب أن يتخذ موقفاً مزدوجاً: فهو مرتبط بمجتمع الذي يدرس مشاكله، وهو أيضاً قادر عن الابتعاد عنه بهدف تحقيق رؤية إنسانية تكاملية. إن ذلك في نظر ميلز هو المعنى الحقيقي لمفهوم الموضوعية في العلوم الاجتماعية الذي لم يظهر حتى الآن بين علماء الاجتماع المعاصرين بسبب خضوعهم الفكري لروح بيروقراطية مكبلة، وغياب الرؤية الشاملة التي دفعتهم إلى الاهتمام بالعرض دون الجوهر(١٣٢).

لذا يعتقد ميلز اعتقاداً جازماً أن أول مهام عالم الاجتماع الملتزم تتمثل في الكشف عن الوعي المزيف السائد في عصره. تلك هي المهمة الأخلاقية والأكاديمية التي يجب أن ينطلق منها عالم الاجتماع والعلوم الاجتماعية على حد السواء.

وفي النهاية نجد أن أول مبدأ أخلاقي في العلم (بشكل عام)، هو الالتزام بالموضوعية والكشف عن الحقيقة يعني الالتزام بالحق ويقود في النهاية إلى الالتزام بمصلحة أكبر طائفة من البشر. ولا يمكن أن نتصور غير ذلك طالما أن الباحث يعيش في مجتمع وأن هدفه من البحث العلمي بشكل عام والاجتماعي بشكل خاص هو نشر ما يتوصل إليه من معرفة على الملأ وطالما أن هذه المعرفة سوف تؤثر بالضرورة على سلوك الناس واتجاهاتهم في مختلف المواقف(١٣٣).

- مناقشة عامة:

وفي النهاية نجد أن ميلز قد قدم نظرية نقدية ملتزمة ذات طابع راديكالي، حاول من خلالها الربط بين نقد الواقع الاجتماعي ونقد الاتجاهات السوسيولوجية المعاصرة سواءً الاتجاه النظري المجرد أو الاتجاه الإمبيريقي التجزيئي، فقد سعى ميلز إلى تحقيق هذه الغاية عن طريق مفهوم الخيال السوسيولوجي الذي يتيح امتلاك رؤية تكاملية، لذا أصر ميلز إلى ضرورة تسلح الباحث في مجال علم الاجتماع بهذا المفهوم حتى يتسنى له إدراك أبعاد مشكلات المجتمع من كافة الجوانب. على اعتبار أن هذه الفكرة تمثل أحد أهم الأدوات النظرية والتحليلية التي تشكل الموقف النظري، لفهم مشكلات الإنسان المعاصر في إطار الكلية التاريخية، وذلك كرد فعل لأزمة الرؤية الكلاسيكية في الفكر السوسيولوجي الغربي. ففكرة الخيال السوسيولوجي تكشف لنا عن وجهي النقد عند رايت ميلز، ونعني بذلك النقد السوسيولوجي والنقد الاجتماعي، وهي الأداة التي يجب أن يتوسل بها الباحث في نقده ورفضه لأساليب السيطرة والتحكم التي تضرب بجذورها بأعماق كل عناصر البناء الاجتماعي. وفي مسألة تعميق مبادئ الالتزام الأخلاقي والحرية الأكاديمية لعلماء الاجتماع رأى ميلز أنه من الضروري على المشتغلين في هذا المجال الالتزام بمجموعة من القيم، فليس هناك من سبيل لتفادي اختيارات القيمة والتأثر بها في البحوث السوسيولوجية، فالمشكلة لا تتمثل في الاختيار القيمي، ولكنها تتمثل أساساً في نوعية هذا الاختيار، فإذا ارتبطت قيم الباحث بالدفاع عن الوضع القائم، ووجهت نحو أغراض بيروقراطية وإيديولوجية، فإن ذلك يمثل انحرافاً للعلم عن مساره الصحيح. لذا نجد أن ميلز قد رفض دور الباحث كفيلسوف أو مستشار للدولة لأنه يلتزم بقيم يفرضها المجتمع الرأسمالي، بحيث يتم الإقلال من دور العقل الحر أو التفكير الليبرالي الحقيقي الذي ورثنا من عصر التنوير إلى أن طوقته الحضارة الغربية بنظمها الإيديولوجية .

وفي النهاية نجد أن أول مبدأ أخلاقي في العلم (بشكل عام) حسب رايت ميلز، هو الالتزام بالموضوعية والكشف عن الحقيقة يعني الالتزام بالحق الذي يقود بالنهاية إلى الالتزام بمصلحة أكبر طائفة من البشر. ولا يمكن أن نتصور غير ذلك طالما أن الباحث يعيش في مجتمع وأن هدفه من البحث العلمي بشكل عام والاجتماعي بشكل خاص هو نشر ما يتوصل إليه من معرفة على الملأ وطالما أن هذه المعرفة سوف تؤثر بالضرورة على سلوك الناس واتجاهاتهم في مختلف المواقف.

قائمة المراجع

[١] – محمد سيد بيومي: **تأثير تغير النسق المرجعي في عصر العولمة على بنية النظرية السوسيولوجية (دراسة تحليلية نقدية)**، جامعة عين شمس، كلية الآداب، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، ٢٠٠٨، ص(١٥١).

[٢] – أحمد مجدي حجازي: **علم اجتماع الأزمة(تحليل نقدي للنظرية الاجتماعية في مرحلتي الحداثة وما بعد الحداثة)**، دار قباء، القاهرة، ١٩٩٨، ص(١٤١).

[٣] – علي ليلة: **النظرية الاجتماعية المعاصرة: دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع**، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٣، ص(٦٤٢–٦٤٣).

[٤] – السيد الحسيني: **نحو نظرية اجتماعية نقدية**، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥، ص(١٨١).

[٥] – توم بوتومور: **مدرسة فرانكفورت**، ترجمة: سعد هجرس، دار أويا، بنغازي، ٢٠٠٤، ص (١٨٥) .

[٦] – عبد الباسط عبد المعطي: **اتجاهات نقدية في علم الاجتماع**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع ٤٤، شهر أغسطس، ١٩٨١، ص(١٥٤).

[٧] – محمود فتحي عبد العال: **الأسس النظرية والمنهجية لتيار ما بعد الحداثة في علم الاجتماع**، جامعة عين شمس، رسالة ماجستير غير منشورة، القاهرة، ٢٠٠٦، ص(٩٣) .

[8]- http://***www.djelfa.info*/vb/showthread.php?p**=950297.

* حصل ميلز على شهادة الدكتوراه من جامعة ويسكونسين في عام١٩٤٢، بعنوان" **علم الاجتماع والبراجماتية** " وفيما بعد قام هورونز بنشرها عام ١٩٦٤ .

- C.Wright Mills***: Sociology and Pragmatism, The Higher Learning in America***, (edited and with an Introduction by I .horowitz), New York, Pain- Whitman,1964.

[٩] – أحمد زايد: **علم الاجتماع (النظريات الكلاسيكية والنقدية)**، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ص (٢٤٣).

[١٠] – عبد الباسط محمد عبد المحسن: **تشارلز رايت ميلز وفلسفة البحث في علم الاجتماع**، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع (٢)، تموز، ١٩٧٥، ص(٥٨٥) .

* C.Wright Mills : ***The power Elite***, Oxford University, New York, 1959 .

* C.Wright Mills : ***White Coller: The American Middle Classes***, Oxford University, New york, 1951 .

[١١] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٤٤).

[١٢] – عبد الباسط محمد عبد المحسن: مرجع سبق ذكره، ص(٥٨٦- ٥٨٧).

* **ماكس فيبر**(١٨٦٤- ١٩٢٠) عالم اجتماع ألماني، يعد إلى جانب دوركايم مؤسساً لعلم الاجتماع الحديث كعلم اجتماعي متميز. لعب فيبر دوراً بارزاً في تطور النظرية السوسيولوجية ومنهج علم الاجتماع، وكان له إسهام كبير في النقاش الدائر حول طريقة دراسة الظواهر الاجتماعية وفهمها والعوامل الأساسية المؤثرة في صنعها. جمعت مؤلفاته بين عدة موضوعات في علم الاجتماع الديني، والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسة الاجتماعية، وعلم الاجتماع المعرفي. من أهم مؤلفاته: " **الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية** " عام ١٩٠٥، " **الاقتصاد والمجتمع** " حيث توفي فيبر قبل انجازه ونشر عام١٩٢٢.

[١٣] – علاء طاهر: **مدرسة فرانكفورت من هوركهايمر إلى هابرماس** ، منشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، ط١، بدون تاريخ، ص(٥٨) .

[١٤] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٤٥).

*C.Wright Mills: The ***Causes of World War Three***, New York : Simon and Schuster, (1958) .

[١٥] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٤٥).

[١٦] – المرجع السابق نسفه، ص(٢٤٦).

[١٧] – محمود فتحي عبد العال: مرجع سبق ذكره، ص(٩٣).

[١٨] – المرجع السابق نفسه، ص(٩٥).

[١٩] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٤٦).

[٢٠] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٤٦).

[٢١] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٥٧-٢٥٨).

[٢٢] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٥٥).

[٢٣] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص(١٨٧).

[٢٤] – توم بوتومور: مرجع سبق ذكره، ص(١٨٥).

[25]- http:// ***www.answers.com*** /topic/c-wright – mills .

[٢٦] – أنتوني جيدنز: **مقدمة نقدية في علم الاجتماع**، ترجمة: مجموعة من الباحثين، جامعة القاهرة، كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦، ص(٣٣).

[27]- Kathryn Mils with Pamela Mills: ***C.Wright Mills - Letter and Autobiographical Writings***, introduction by: Dan Wakefield, university of California press, Berkeley. 2000, p.(21) .

[28] - http://***www.sociological imagination.org***/short_biography_of_c_wright_mill.htm .

[29] - http://***www.sociological-imagination.org***/, op.cit.

[٣٠] – مصطفي خلف عبد الجواد: **قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**، مراجعة وتقديم: محمد الجوهري، جامعة القاهرة: كلية الآداب، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص(٢٨٢).

- Kathryn Mils with Pamela Mills: ***C. Wright Mills - Letter and Autobiographical Writings***, op.cit, p. (39) .

[٣١] – ميشيل مان: **موسوعة العلوم الاجتماعية**، ترجمة: عادل مختار الهواري– سعد عبد العزيز مصلوح، مكتبة الفلاح، بيروت، ١٩٩٤، ص(٤٥٥) .

[٣٢] – مصطفي خلف عبد الجواد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٨٣).

[٣٣] – ميشيل مان: مرجع سبق ذكره، ص(٤٥٥) .

[٣٤] – المرجع السابق نفسه، ص(٤٥٥–٤٥٦).

[٣٥] – أنتوني جيدنز: مرجع سبق ذكره، ص(٣٣).

* **بول لازار سفيلد**(١٩٠١–١٩٧٦)، عالم اجتماع (**نمساوي – أمريكي**) ولد في فيينا، حصل على الدكتوراه في العلوم الرياضية، ثم أصبح مهتماً بعلم النفس الاجتماعي، وفي عام ١٩٣٣ غادر بول فيينا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث اهتم بالبحوث الخاصة بوسائل الاتصال الجماهيري، قام بالتدريس في قسم الاجتماع بعدة جامعات أمريكية مثل (برينسون– كولومبيا)، ويمكن القول أن بول لازار سفيلد كان صاحب أهم تأثير يحدثه شخص واحد على المنهج الكمي في علم الاجتماع في القرن العشرين .

** **تالكوت بارسونز**(١٩٠٢–١٩٧٩)، عالم اجتماع أمريكي، يعتبر من أهم منظري و رواد المدرسة الوظيفية الحديثة، التي سادت في علم الاجتماع الأمريكي منذ الأربعينيات حتى الستينيات، من أهم مؤلفاته: (**بنية الفعل الاجتماعي عام ١٩٣٧، نحو نظرية عامة للفعل عام ١٩٥١، النسق الاجتماعي عام١٩٥١، أوراق عمل في نظرية الفعل عام ١٩٥٣**)، تسعى نظرية الفعل الاجتماعي عند بارسونز إلى التوليف بين ثلاثة أنساق تعتبر بمثابة المرتكزات الأساسية لنظريته وهي كالآتي: **نسق الثقافة** الذي تطور وتقدم عبر الانثروبولوجيا التي قدمت فيه إسهاماتها الواضحة والجلية، **نسق الشخصية** حيث قدم علم النفس بقيادة فرويد فهماً لعملياتها الأساسية وبنائها الدافعي، **النسق الاجتماعي** الذي

اعتمد فيه بارسونز على تصور كلاً من دوركايم وماكس فيبر لعناصره الرئيسية وعلاقاته وبنائه المعياري .

[٣٦] – ميشيل مان: مرجع سبق ذكره، ص(٤٥٦).

[٣٧] – المرجع السابق نفسه، ص(٤٥٦).

[٣٨] – مصطفي خلف عبد الجواد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٨٣).

[٣٩] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٨٤).

[٤٠] – خضر زكريا: **نظريات سوسيولوجية**، دار الأهالي، دمشق، ط١، ١٩٩٨، ص(١٥٨).

[٤١] – عبد الله إبراهيم: **الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع (دراسة في فلسفة العلم الابستمولوجيا)**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥، ص(٧٨).

[٤٢] – خضر زكريا: مرجع سبق ذكره، ص(١٥١).

[٤٣] – المرجع السابق نفسه، ص(١٥٨).

[٤٤] – عبد الله إبراهيم: مرجع سبق ذكره، ص(٧٨).

[٤٥] – رايت ميلز: **الخيال العلمي الاجتماعي**، ترجمة: عبد الباسط عبد المعطي– عادل مختار الهواري، تقديم: سمير نعيم أحمد، مصر، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧، ص(٩٩).

[٤٦] – ميشيل مان: مرجع سبق ذكره، ص(٣٨٦).

[٤٧] – علي ليلة: **النظرية الاجتماعية دراسة لعلاقة الإنسان بالمجتمع (الأنساق الكلاسيكية)**، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ١٩٩١، ص (٧٨-٧٩).

[٤٨] – معن خليل عمر: **نظريات معاصرة في علم الاجتماع** ، دار الشروق، عمان، ط٢، ٢٠٠٥، ص(٣٧).

[٤٩] – إيان كريب: **النظرية الاجتماعية من بارسونز إلى هابرماس**، ترجمة: محمد حسين غلوم– محمد عصفور ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع(٢٤٤)، شهر يناير، ١٩٩٩، ص(٦٥).

[٥٠] – المرجع السابق نفسه، ص(٦٥).

[٥١] – ألفن جولدنر: **الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي**، ترجمة وتقديم: علي ليلة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤، ص(٢٤٣).

[٥٢] – إيان كريب: مرجع سبق ذكره، ص(٦٥-٦٦).

[٥٣] – أشرف منصور: **بروليتاريا المكاتب: رايت ميلز والطبقة الوسطى الأمريكية**، الحوار المتمدن، ع(١٧٩١)، ٢٠٠٧.

http://*www.ahewar.org*/debat/show.art.asp?aid=85417

[*] C.Wright Mills: ***White Coller: The American Middle Classes***, Oxford University, New york, 1951 .

[٥٤] - أحمد زايد: **علم الاجتماع (النظريات الكلاسيكية والنقدية)، مرجع سبق ذكره،** ص(٢٨٢-٢٨٣).

[٥٥] – أشرف منصور: مرجع سبق ذكره.

- http://*www.ahewar.org*/debat/show.art.asp?aid=85417

[٥٦] – المرجع السابق نفسه.

[٥٧] – المرجع السابق نفسه.

[٥٨] – المرجع السابق نفسه.

[٥٩] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص(١٩١).

[60] - http://***ar.wikipedia.org*** /wiki .

[61] - http://**ar.wikipedia.org**/wiki .

[٦٢] – أنتوني غدنز: **علم الاجتماع (مع مدخلات عربية)**، ترجمة: فايز الصياغ ، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترجمان، بيروت، ط٤، ٢٠٠٥، ص(٧٤٨) .

[63] - http://**ar.wikipedia.org**/wiki op.cit .

[64] - http://**www.histgeo-ma.com/**3an/manar/His3_8.htm .

[٦٥] – السيد يسين: **الديمقراطية وحوار الثقافات(تحليل للأزمة وتفكيك الخطاب)**، الهيئة المصري العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧، ص(٢٣١).

[٦٦] – السيد يسين: مرجع سبق ذكره، ص(٢٣١).

[67] - http://***www1.amalnet.k12.il*** /kaabia/profession/hestory/DocLib1/.

[68]- http://***ar.wikipedia.org***/wiki. op.cit

[69] - http://***ar.wikipedia.org***/wiki .

[70] - Mills C.W: ***The Causes Of World War Three***, London Secker And Warbury,1959, pp.(96.140) .

[٧١] – عبد الباسط عبد المعطي: مرجع سبق ذكره، ص(١٥٢).

[٧٢] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص(١٩٠).

[٧٣] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥٠).

[٧٤] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٥١-٢٥٢).

[٧٥] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص(١٨٥-١٨٦).

[٧٦] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره ، ص(٥٧) .

[٧٧] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٤٨).

[٧٨] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره، ص(٦٠).

[٧٩] – المرجع السابق نفسه، ص(٦١).

[٨٠] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٤٨-٢٤٩).

[٨١] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٤٩).

[٨٢] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره، ص(٦٤) .

[٨٣] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٤٩).

* **توماس هوبز(١٥٨٨-١٦٧٩)** فيلسوف، ومنظر سياسي انكليزي، مؤلف " **ليفياثان** " ١٦٥١، وفيه يسوق الأدلة على أن الإنسان ينبغي عليه أن يخضع للدولة فراراً من مصير " **يكون فيه كل شيء حرباً على كل شيء** " وهو ما يمكن أن يوجد في دولة الطبيعة. تحدث عن " **مشكلة النظام** "، التي استند إليها بارسونز وغيره من علماء الاجتماع .

[٨٤] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥٠) .

[٨٥] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٥٠).

[٨٦] – سعيد إسماعيل علي: **فلسفات تربوية معاصرة**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع(١٩٨)، شهر يناير، ١٩٩٥، ص(١٣٣).

[٨٧] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره، ص(٩٩).

[٨٨] – أحمد مجدي حجازي: مرجع سبق ذكره، ص (١٤٤).

[٨٩] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥١).

[٩٠] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره، ص(١١١) .

[٩١] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥١).

[٩٢] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص(١٨٦-١٨٧).

[٩٣] – عبد الباسط عبد المعطي: مرجع سبق ذكره، ص(١٥٢).

[٩٤] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص(١٩٠).

[٩٥] – عبد الباسط عبد المعطي: مرجع سبق ذكره، ص(١٥٢).

[٩٦] – المرجع السابق نفسه، ص(١٥٤).

[٩٧] – أحمد مجدي حجازي: مرجع سبق ذكره، ص(١٤٤).

[٩٨] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥٢).

[٩٩] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٥٢).
[١٠٠] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره، ص(١٤) .
[١٠١] – المرجع السابق نفسه، ص(١٥).
[١٠٢] – المرجع السابق نفسه، ص(١٨).
[١٠٣] – المرجع السابق نفسه، ص(١٤).
[١٠٤] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥٢).
[١٠٥] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره، ص(١٩).
[١٠٦] – المرجع السابق نفسه، ص(١٩-٢٠).
[١٠٧] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٣-٢٤).
[١٠٨] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥٣).
[١٠٩] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٥٤).
[١١٠] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٥٤-٢٥٥).

[*] Hans Gerth and W.Mills: ***Character and Social Structure***, The Psychology of Social Institutions, Harcount, Brace and company, New York, 1953 .

[١١١] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥٥).
[١١٢] – عبد الباسط عبد المعطي: مرجع سبق ذكره، ص(١٥٤-١٥٥).
[١١٣] – المرجع السابق نفسه، ص(١٥٥).
[١١٤] – أحمد مجدي حجازي: مرجع سبق ذكره، ص(١٤٦-١٤٧).
[١١٥] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره، ص(٢٥٣) .
[١١٦] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٦٧).
[١١٧] – رايت ميلز: مرجع سبق ذكره، ص(٢٦٨) .
[١١٨] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٦٨-٢٦٩).
[١١٩] – المرجع السابق نفسه، ص(٢٧٠).

[120]- http://***www.ejtemay.com***/showthread.php?t=1121 .

[١٢١] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص (١٨٧).
[١٢٢] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٧٠).

[123]- Mills C.W: ***The Sociological Imagination***, Oxford University Press, 1959, p.(179-181) .

[١٢٤] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٧١).

[125]- Mills C.W: ***The Sociological Imagination***, op.cit, p.(177) .

[١٢٦] – أحمد زايد: مرجع سبق ذكره، ص(٢٧٢).

[١٢٧] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص(١٨٧).

[١٢٨] – المرجع السابق نفسه، ص(١٨٨).

[129]- Mills C.W: ***The Methodological Consequences of the sociology of Knowledge***, in Horowitz, I; (ed) The New Sociology, op.cit, p.(427).

[130]- Mills C.W: ***The Sociological Imagination***, op.cit, p.(119) .

[١٣١] – السيد الحسيني: مرجع سبق ذكره، ص(١٨٩).

[132] - Goldsen, R**:** ***Mills and the profession of Sociology***, in horowitz .I; (ed) The New Sociology, op, cit; p.(89) .

[١٣٣] – سمير نعيم أحمد: **المنهج العلمي في البحوث الاجتماعية**، جامعة عين شمس، دار هاني للطباعة، القاهرة، بدون تاريخ، ص(٨٩).